السنة الاولى   العدد ١٥   ١ آب سنة ١٨٩٨

المشرق

الصُلَيب

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

(١ً تمهيد). انَّ نُدور هذا البحث وقلَّة المتكلّمين عنهُ وتزر كلامهم فيهِ حملني الى ان اتسنَّم غارب القلم لأزْلُجَ قليلاً في مَيدَان هذا البحث وان لم أكن من فرسانهِ لعلّي بذلك أستنهض هِمَم العارفين باحوال هذا الجيل من الناس فيندفعون الى ان يدوّنوها في بطون الاوراق قبل الاندراس. ويُنيروا عقولنا بها قبل ان تفاجئنا الأدْلاس. او لعلّي استلفت بهذه الاسطر انظار الواقفين على هذا الموضوع في ما كتبهُ الافرنج فيدرجون لنا في المشرق احوال جيل معروف بالمشرق وحدهُ وما نصُّوا من الآراء فيهم واتَّصلوا اليهِ من معارفهم وما ذهبوا اليهِ في شأن اصلهم فتتضاعف الفوائد وتكثر العوائد ويطلع الانسان على حقيقة ما حولهُ من الموجودات لكي لا يُرى بجهالة امورٍ هي لهُ ضرب من الضروريات. فاقول وبالله استعين :

(٢ً تعريفهم). الصُلَيب بضمّ الاول وفتح الثاني واسكان الياء كمُقَيْل (والصليب انفسهم يسكنون الصاد فيقولون الصْلَيب) جيل من الناس بين الحَضَر واهل المدَر منتشرون في الشاميَّة او برّ الشام ويتردَّدون بين الموصل وبغداد والدير ونواحيها ومنقسمون الى عشائر من ١٠ الى ٢٥ خيمة تنتقل من مكان الى مكان للاتّجار بالحمير والملح وغير ذلك

(٣ً اصلهم). قد ذهب العلماء مذاهب شتَّى في اصلهم. فمنهم من قالوا انهم من بقايا الصليبيين الذين تفرَّقوا شذر مذر من بعد ان اقاموا في بلاد سوريَّة مدَّة فنُكّل بهم تنكيلاً فاق ما اصاب سائر فرَق النصارى لما رآهُ اعداؤهم في اسمهم ما يستدل عليهم

غضبهم واستشهدوا عـلى ذلك باسمهم فان الفرق بين لفظي صَليبيّ وصُلَيبيّ طفيف جدًّا يكاد لا يُذكر. ولذلك عندهم دليـل آخر فان البدو لا يتعرّضون ابدًا لهؤلاء الاقوام ويعتبرون من يتعدَّى عليهم انهُ ارتكب اعظم المنكرات وحقَّ لهُ انكى العذابات فينظرون اليهم نظرهم الى شيء مقدَّس موسوم بالصليب ولا يوقعون بهم أذى او أدنى مكروه وعليهِ فلا مخالطة بينهم وبين البدو. ولهم ايضًا دليل ثالث يُعزّز هذا القول وهو ان البعض منهم من يقول هذا القول اي انهم من الصليبيين لكن لمّا أخنى عليهم الدهر آل بهم الامر الى ما انتهوا اليهِ اليوم ولسان حالهم يقول:

يعـاندني دهري كاني عـدوُّهُ ... وفي كـلّ يوم بالكريهة يلقـاني

وان رمتُ خيرًا جاء دهري بضدّهِ ... وإن يَصفُ لي يومًا تكدَّر في الثاني

وقالت جماعة يُستـدلّ على اصلهم من اسمهم فالصُلَيبُ مشتقّ من الصُلب بمعنى الشديد يقال: صُلبٌ في دينهِ اي شديد فيهِ متمسك بهِ وهم عصابة من النصارى قذفتهم ايدي الدهر الى البراريّ فبقوا محـافظين على دينهم باديءَ بدء ثم تراخت بهم الاحوال فاصبحوا ما هم عليهِ اليوم. او اسمهم مشتقّ من صَلُبَ اي ضدّ لانَ وهم من نصـارى العرب في عيشهم شظف وخشونة لا تلين لها الطباع

وسمعتُ اناسًا يقولون ان اصلهم يرتقي الى الرومان او اليونان فان اسمهم مشتقّ من صُلَيب او صُلَيف (Sulèves) وهي آلهة بريّة كانت تقـام ثلاثَ على رخام قديم وهُنّ قاعدات وبأيديهنَّ اثمار وسنابل. ولما كثر اختلاط عبدة هذه الالهة بالنصارى والاسلام تركوا اعتقادهم وتعلّقوا باعتقادٍ ليس هو باعتقاد النصارى ولا باعتقاد الاسلام فصارت حكايتهم اشبه بحكاية الغراب الذي قيل فيهِ:

إنَّ الغراب وكان يمشي مِشيَةً ... فيما مضى من سالف الاجيالِ

حسد القطاةَ ورام يمشي مَشيها ... فاصـابهُ ضربٌ من العُقّالِ

فأضلَّ مشيتهُ وأخطأَ مَشيهـا ... فـلذاك سمَّوهُ أبا المِرقـالِ

وقال آخرون إنَّ اصلهم من صُليب او صُلَيب وهي قرية قريبة من دُنقلة من بلاد سَقْي النيل. فسمُّوا باسم مدينتهم

امّا الصُلَيب انفسهم فلا يعرفون شيئًا من اصلهم او يعرفون شيئًا تخيّلوهُ في مُخيّلتهم او يخترعون من عقلهم اشياء ويقولون بقدميّة اصلهم. ويخطر ببالي اني سألتُ قبل ١٥ سنة

واحدًا من الصليب الذين كانوا قد جاءوا بغداد في تلك السنة وكتبت كلامهُ بوقتهِ وكنتُ قلت لهُ: ما اصلكم ؟ قال: اني لا اعرف من اين يأتي اكلي. فكيف اعرف من اين يأتي اصلي. وسألت آخر من المقدَّمين فيهم ذلك السؤال فتنحنح ثم تجعَّع فتفكَّر ثم تذكَّر وقال: اسمع يا ابن الحلال. اننا نحن من خيرة الناس وصفوتهم. ومن عِليَة العرب وزُبدتهم. كان جدّنا عربيًا صليبًا (اي خالص النسب) اسمهُ ضَبعان. غير ان طوائح الزمان. طوَّحت بهِ على ما يأتي من البيان. كان الله تعالى سبحانهُ عزَّ وجلَّ خلق جدَّ جدّنا ضبعان. في أترهِ مكان. في بلادٍ قريبة من بلاد العرب. ينبت فيها انواع التُرَب. ثم لمَّا كثر الناس واختلفت الاجناس. صمَّم جدّنا ضبعان على الرحيل من بلادٍ ضاق بها المكان. فاراد تعالى عندئذٍ ان يوزّع خيراته على خلقهِ ومبروءاتهِ. فكان لجدّنا القدح المعلَّى. وبالحال فرح فطلَّى. فسوَّدهُ الله على سائر الناس. غير انهُ ما عتَّم ان ارتكب عملًا عُدَّ دنسًا من الادناس. وذلك ان القيُّوم ربَّ الكائنات. لمَّا بلغ الى تعيين ارزاق الحيوانات. جعل نصيب الكلب قرصة خبز فرمى بها اليه. واذا بضبعان جدّنا تلقَّفها قبل ان تقع بين يديهِ. وبالحال اغتاظ الله على طمعهِ. وجشعهِ. واحرمهُ من رتبتهِ الاولى الشريفة. وانزلهُ الى درجة خسيفة. وكلَّمهُ بكلام تدكدكت لهُ الجبال. وتضعضعت لها قوَّات السماء مع ما فيها من آيات الكمال والجمال. وقال: ولِّ عني مدبرًا ايها النذل اللئيم. الخالي من صفات الكريم. اني كنت عظمتك بين سائر الناس. لا بل سوّدتك عليهم على اختلاف الاجناس. وها انك تشاطر الكلب في رزقهِ. وتخاصمهُ في حقّهِ. ولِّ عني فانك منذ هذا اليوم. تكون ارذل القوم. وتخيط الى الأطناب (اي تمرّ بها لتكدي). وتنبحك الكلاب. وكريمات القبائل يعطينك. ولئيمات الاحياء يطردنك. تأخذ بمخلاتك. وتكدّي من خالاتك. ولا تزال تفعل ذلك. وانت على هذه احوالك. الى ان تكفّر عن طمعك. وتوفي الله عن جشعك. الى ان يشاء. فينشلك من هذا الشقاء.

وسألت آخر فقال تقريبًا قول السابق الَّا أنهُ ابدل لفظة الكلب بلفظة الغزال

وسألت رابعًا فقال ما يقرب معنًى من كلام السابقين واليكهُ: انَّ ملك الشعوب وسلطانهم الأعظم لما رفع قبَّة السماء. على عواميد من الهواء. واوقف الارض على ظهر الماء. شتَّت الناس في انحاء شتَّى من المعمورة. وعيَّن لكل جماعة حصصًا من الارزاق عندهُ تعالى مذكورة. فكان نصيب الفلاحين الفلاحة. ونصيب الملاحين الملاحة. وحظّ المدنيين

التجارة . وقسمة البدو ركوب الخيل المُطَهَّمة السيَّارة . وتقلُّد السيف والرمح بسالة غريبة . واقتحام غمرات الموت بشجاعة عجيبة . وكانت حصَّة الاوّلين التفنُّن والبراعة . والمهارة في الصناعة . امَّا جدنا صليب وشرار جدّ الشرارات . وحازم جدّ الحوازم المعروف بالغـارات . فهؤلاء ثلاثتهم كانوا تغرَّبوا فلمَّا اتوا الى اوطانهم . ادَّعوا باسهامهم . فغضب عليهم الملك الكريم . واستعذروا فكان عذرهم اقبح من ذنب عظيم . فقال صليب : اني كنت اطارد ظبيًا . فقال له الرب الجليل : سقيًا لك ورعيًا . فان كنت قد ولعت بصيد الغزال والكدية . فاذهب مع الصبية . الطُنُب يطنّبك . والكلب ينبحك »

هذا ومن امعن النظر في ما تقدَّم يحقق شيئًا وهو ان ما يزعمهُ العلماء لا ينطبق على ما يقولهُ الصليب وبين القولين بونٌ عظيم . غير انَّهُ ممَّا يمكن ان يؤكدهُ كل عاقل هو ان الصليب ليسوا من العرب ابدًا . ولنا على ذلك ادلَّة قاطعة وبراهين نيّرة ساطعة . منها : ان ملامح وتقاطيع الصُلَيْب غير ملامح وتقاطيع البدو . فان الصليب يتـازون غالبًا بصغر الرأس وعلوّ الجبهة وسعتها وشَهَل العينين او صفرتها وزَجَج الحاجبين وبلجهما وشَمَم الانف وبياض اللون وبيضة الوجه ورقَّة الشفتين وشقرة الشعر ونعومة الجلد ودقَّة الخصر ورشاقة القدّ ونصاعة بياض الاسنان وصحَّة الابدان الى غير ذلك ممَّا لا ينطبق إلَّا البعض القليل على مميزات البدو او العرب . وممَّا اشتهر به الصليب خاصَّة نحافة الجسم بنوع فاحش حتى عُرفوا بها وضُرِب بهم المثل . فيقال : « انحف من الصلَيْبي » او « هو نحيف كالصليبي » او « كأنهُ صُلَيبي »

ومن تلك الادلَّة ايضًا لغتهم فهي ليست بالعربية الفصيحة ولا بعربية البادية بل هي لغة بين الاثنتين ولهم رُطَيْني يتكلَّمون بها بينهم خاصَّةً . غير ان البعض منهم يتكلَّمون بعربية البلاد الموجودون فيها وربَّما تعلَّم البعض منهم ولا سيَّما المتقدمون بينهم مقاطيع مسجَّعة كما مرَّ بك

ومن ذلك ايضًا عوائدهم فهي كما رأيت ليست بعوائد اهل البادية او نحوهم

ومنها ايضًا ان العرب والاعراب يعتبرون الصليب قبيلة غير عربيـة ومستقلَّة عنهم ويجلّونها ويعظّمون قدرها ويعتبرون المعتدي عليها اعتبار جانٍ من اعظم الجناة

(٤) ديانتهم) . ليس للصليب ديانة خصوصيَّة . وقد سألناهم بهذا الموضوع فقالوا : انَّنا نعبد خالق الغزال والذي سخَّرهُ لنا غير اننا بسبب مخالطتنا للاسلام ولاهل البادية وجهلنا

لامور ديانة اجدادنا اخذنا عنهم ما دخل بيننا رغمًا عنَّا فهم اذًا لا يعرفون لا الصوم ولا الصلاة ولا شعائر الديانة ولا . . ولا . . ولا . . غير ان الختان معروف عندهم

(٥ طعامهم ولباسهم) . ان طعامهم لحم الغزال وهو كثير في بريَّة الشام التي يسكنونها وهم من احذق خلق الله في التحيُّل على صيده فلا يزالون يطاردونهُ حتى اذا أعيا ووقف كالمتفكر الغائب عن رشده اطلقوا عليه النار وهجموا عليه . ويطاردون الغزال تارةً ركضًا وتارة ركبًا على الحمار الابيض فاذا قربوا منهُ كلَّموا حمارهم همسًا فيفهم الاشارة و يبرك كالبعير ثم يطلقون النار من وراء الرامة متخذينها بمنزلة القترة فيصطادونهُ . — ومن طعامهم ايضًا الشعير والذُرة بانواعهما واللبن وشرابهم الماء القراح وإن لم يحصلوا عليه في مثل فصلَي الصيف والخريف شربوا اللبن او اللبن الحليب بدلًا منهُ . واذا دخلوا مدينة تزوَّدوا لهم الطحين وانواع الاطعمة اليابسة ليقتاتوا بها زمنًا طويلًا بدون فساد

ولباسهم كلهُ من جلد الغزال ايضًا ويتخذون لهم منهُ القفَّاز والمِسْاة (١ ولباس الرجل لا يمتاز عن لباس المرأة الّا بشيء واحد وهو انَّ المرأة تتعصَّب بعصابة حمراء بلون الحنّاء وتدلّي طرفيها على القفا كانها تتزيَّا التاج . اما الرجل فيجعل هذه العصابة الحمراء ملفوفة على نفسها ليس لها طرف كانس متذبذب . وللرجل جدائل شعر كما للمرأة . والغالب في الرجل الطَّط وهو خفَّة شعر العارضين ولهذا قلَّما يتميَّز الرجل عن المرأة من بعيد وبالاخص اذا كان الرجل شابًّا لم يَبْقَل بعد وجهُهُ . ولهم منطقة يتخذونها من جلد الحمل او نحوه فيُدهن او يُدبغ بالقَرَظ او بالّاء ويُجدل على ثلث قُوًى جدلًا عريضًا ويعلَّق بها هنات من العظام يتقيَّدونها لهذه الغاية وتُلبس المنطقة بهذه الهيئة ويسمّونها السَبْتة (بفتح وسكون) . واظنُّ ان اللفظة عربية محضة كانها قطعة من السِبْت (بكسر وسكون) ومعناها كل جلدٍ مدبوغ

(٦ اسلحتهم) . ان الاسلحة المعروفة عندهم هي المِقْيار والبعض يلفظ القاف جيمًا شجريًّا او جيمًا حلقيًّا فيقولون المِجْيار او المِكْيار وهو عبارة عن عصا جُعل في رأسها كتلة مستديرة من القار تصلب اذا يبست فتكون كالحجارة . وتفكة الشِشْخان وهي نوع من البندقية او البارودة متوسطة بين القربينة والبارودة الاعتيادية وهي مستطيلة الانبوب بنوع

١) المِسْاة شيء كالجورب يغطّي بها اسفل الساق وظاهر القدم كي لا تجرح الارجل بالشوك او بما اشبه

فاحش ودانلها ستّ طرائق او زوايا ومنها اسمها بالفارسية ومعنى شش ستّة وخان او خانة بيت او منزل او طريقة · وقد كان دخول هذه البندقيّة أيام السردار عمر باشا المشهور · والقرطة وهي كالتيار الّا انها كلها من حديد ووجهها محفور او منقوش باشكال غريبة يُؤتى بها من الحساء والقطيف من بلاد العرب

(٧ عوائدهم واخلاقهم) · من عوائدهم انهم يكرهون كلّ الكراهية السرقة والغشّ والخداع والمكر والمداجاة والمراءاة والغبن في البيع والتجارة · وليس من شيء معظّم عندهم مثل الدَّين · والكذب غير معروف عندهم · ومن طبعهم الكدية وهم مشهورون بها فانّك لاتزال تراهم يتطفّلون على موائد الغير من اي ملّة او نحلة كانوا وبدون ان يُدعَوا الى الطعام وهم لا يستنكفون من نوع من الطعام ولا يحرّمون شيئاً منهُ واذا سمعوا باحضار طعام في محلٍ تراكضوا اليه متسارعين كأنهم من اهل ذلك المحلّ

ومن اخلاقهم العفّة والطهارة فهم لا يعرفون الزنى ولا الفجور الّا ما ندر والنادر لا يُعتدّ بهِ · والمرأة عندهم على جانب عظيم من الحياء والخفر واذا شخصت المرأة مع زوجها الى المدينة تمسّكت باهداب ثوبه وتعلّقت بهِ وهي على هذه الصورة اينما سار وسرى كأنها الطفلة الصغيرة بجانب ابيها

(٨ سكناهم) · ان الصليب يسكنون في خيم يتّخذونها من جلد الغزال او من الشعر وهم يرتادون منازل الغيث في الربيع والشتاء وجوار المدن والقرى في الصيف والخريف وتبلغ خيامهم ما ينيف على اﻟ ٧٠٠ خيمة

(٩ صنائعهم) · ليس لهم صناعة يمتازون بها سوى تربية الحمير البيض · فحميرهم من هذا القبيل مرغوبة لحسنها وقوّتها وتمكّنها من السير المتواصل بدون ان تتعب وشيكاً · ولهذا ترى كثيرين من التجّار يعقدون صلات معهم لهذه الغاية · وربما بلغ قيمة الحمار المبتاع منهم بسعر ٣٠٠ فرنك او اكثر · ومن أعمالهم ايضاً تربية المواشي بانواعها والغنم عندهم في سِنِي الخصب تلد مرّتين في السنة

(١٠ حفلة الزواج عندهم) · اذا اراد الواحد ان يتأهّل خرج بشير من بيت الرجل وهو قابض على ذيل حمار ابيض يُوجّههُ ماراً ببيوت الربوع فيكون ذلك علامة للدعوة الى العرس · وهذا يشبه بشير العرب الذي كان يجيءُ مبشّراً بحيّ مخصب او حال تسرّهم

فاذا جاء حرَّك ثوبهُ او سيفه واشار بهِ من البعد ليفرحوا ويستبشروا قال الهذَلِيّ:

أَرِقتُ لهُ مثل لمع البشيرِ يقلّب بالكفّ فرضًا قليلا

فترى حينئذٍ كل ما اتى البشير بيتًا خرجت نساؤُهُ يُهَلِّلنَ (١ فيشمّر اصحاب كل بيت في تهيئة طعام يمشون بهِ الى بيت العروس (الرجل) فيحتشد المدعوُّون على طبقاتهم ويأكل كل فريق من طعام فريقهِ الآخر. واذا انتهوا من الوليمة انفصلت الرجال والنساء كلٌّ على حدةٍ وبدأوا بالرقص والزفن. ورقصهم في منتهى البساطة فلا ترى ابدًا فيهِ حركاتٍ تخلّ بالآداب او أمارات تبعث النفس الى سوء الظن او الشكّ فهو عبارة عن وثبٍ وطفرٍ. وعندهم نوع من الرقص يسمَّى بالدَّسْتَبَنْد يأخذ بهِ بعضهم يد بعض ويدورون. ومن عوائدهم في مثل تلك الايام عادة اسمها عندهم بالمَعَجَّلة وهي عبارة عن ان المُعرِس يمتطي حمارًا محضارًا محتاطًا بعجاهنةٍ (٢ ويمرّ بصدر البيوت فتقبلُ النسوة لرميهِ عن الحمار فيمنعهنَّ العجاهنة. ولا يزالون يفعلون هذا الفعل حتى اذا جاء بيتهُ اولم وليمةً يسمّونها وليمة الشباب. امَّا اذا وُفقت النساء الى قلب المعرس عن ظهرِ حمارهِ رغمًا عن مقاومة العجاهنة فللنساء حقّ بالوليمة لهنَّ فقط ويعود الشبَّان بخُفَّي حُنَين

امَّا طريقة الزواج فتكون على هذه الصورة: يتقدَّم الخاطب ويمسك بيد أبي المخطوبة واخيها او وصيّها او القيّم بامرها ويأتي ثالث ويخاطب وكيل الابنة او اباها قائلًا: أَتُزَوِّج فلانة ابنة فلان فلانًا ابن فلان ؟ فيقول ابو الابنة: نعم اني ازوج فلانًا ابن فلان ابنتي هذه. فيصرفهم الثالث بعد ان اقام لدى العرسين مقام الشاهد العدل ثم يقول: سيرا بحفظ الرحمن والله شاهد عليكما وعلى اعمالكما وهو الحيّ القيوم

(١١ الطلاق). لكل من الرجل والمرأة حقّ في ان يطلّق صاحبهُ اذا خان الواحد الآخر اي اذا ثبت عليهِ بانهُ احبَّ شخصًا آخر. واذا ارادت المرأة الطلاق خرجت قائلة صارخة: اشهدوا عليَّ باني طلّقت فلانًا زوجي لانهُ عشق او خطب غيري (إذ لا يمكن لاحد الزوجين ان يتزوَّج الَّا برضى الآخر). فاذا انتشر الخبر وتحقَّق صدقهُ كلُّ الناس لا تعود المرأة ترجع الى بعلها ولو استرضاها بمال قارون او دولة هارون او سحَرها بسحر هاروت.

---

١) يقال هلل الرجل اذا رجَّع صوتهُ والهلاهل هي ما يسمّيها اهل سورية بالزلاغيط

٢) جمع عجاهنٍ وهو صديق الرجل المعرس والبعض من العامة تسمي العجاهنة بالقداوية والاشابينة والسَرادجة جمع سردوج

وماروت . امّا اذا كان الحَجَر كاذبًا جاءَت المرأة الى زوجها بالمَرْجَل (بالدست او القــدر) واستحلفتهُ عليهِ ثلاثًا ليثبت صدق الحَجَر فيقلب الرجل القدر ظهرًا ويحلف عليها ويقول ثلاثًا : وحياة القدر وما قُدِر فيها (١ اني لا عشقت ولا خطبت غيرك لا ظاهرًا ولا باطنًا لا سرًّا ولا جهرًا . فاذا حلف هذا القسم المغلَّظ رجعت اليه . واذا طلّق الرجل امرأته ووُجدت حاملًا بعد طلاقها امتنعت عن الزواج ثانيةً الى ان تُرزق فاذا رزقت انثى جاز لها عقد الزواج وان ذكَرًا بقيت على ما هي عليهِ ثلث سَنوات الى ان يفطم الطفل

(١٢ التطبيب) . لا يعرفون من الطبّ الّا المالجة بالكي ومخّ عظام البعير . فالمخّ يُستعمل بمنزلة دهانٍ او مَرُوخٍ او مَرْهم لأنواع الامراض الخارجية او الأَدْواء الباطنيّة ذات الاثر الخارجيّ كداء المفاصل والرِّئة والنِّقرس والخضار ونحوها . وكل ما لا يُعالج بالمخ يُداوى بالكي . وطريقة الكي عندهم ان تؤخذ قطعة صغيرة من ثوب ازرق صُبغ بالنيل (ولا يؤخذ من ثوب صبغ بصبغ غير النيل) . ثم تُلفّ هذه القطعة على نفسهـا لفّاتٍ متعددة حتى تغدو كالانبوبة دقيقة الرأس ثم يشعل هذا الرأس ويكوى المريض بالحرقة انحاء شتّى من جسمهِ معلومة عندهم بموجب نوعية المرض وموطنهِ

فللداء الفلاني مثلًا يكوى المريض من كتفهِ وذراعهِ وظهرهِ وللداء الآخر من ساقهِ وظاهر قدمهِ ومقدّم صدرهِ الى غير ذلك بموجب قواعد يعرفهـا الكاوي . وربّما كان هذا الكيّ في فسحةٍ معلومة من الجسم فيقوم هذا الكيّ مقام حرّاقة او لزقة او لبيخة او نحو ذلك من مُصطلحات الطبّ الحديث . فيحدث اثر هذا الحرق حُوَيصلات ممتلئة ماء فاذا نضجت وسال ما بها شُفي المريض . وقد تُبدَل الحرقة النيلية بحديدة حارّة فيتصرّف بها الكاوي تصرّفهُ بالحرقة الزرقاء وقد تُبدَل الحديدة بالصوفان ايضًا . ومن نظر الى شكل الحديدة او الحرقة او الصوفان علم بان آثار الكي تكون مختلفة الشكل والهيئة والقدر فمنها مستديرة ومنها مستطيلة ومنها مستعرضة الى غير ذلك

(١٣ دفن الموتى) . اذا مات الواحد عندهم اسرع اصحابهُ الى غسلهِ وتكفينهِ وايداعهِ الرمس وبعد ليلتين من موتهِ تُدعى الاقارب والجيران والاصدقاء الى يشتركوا معهم لتأدية الواجبات في مناحتهم الرخيمة التي تقـام على قبر الميت . ويشاطر هؤلاء المدعوين جميع الفقراء والمحتاجين وبعد ان يأكلوا ويشربوا يأخذون معهم ما بقي من

١) اي ما طبخ بها من الطعام

الطعام وينصرفون والسنتهم لاهجة بذكر محاسن الفقيد وفضائلهِ مستدرّين صيب رحمة الله عليهِ. واذا كان اصحاب البيت من الاغنياء او ممن تمكّنهم حالهم من تضحية ضحيّة عمدوا الى اخذ جمَل وحملوا عليهِ ثوبًا وعباءة ونحو ذلك وكلّ ما يتعلّق بلباس الرجل حتى الاحذية واخذوا معهم طحينًا وسمنًا وماء وغير ذلك ثم يكلمون ميّتهم قائلين لهُ: خذ ضحيّتك هبة لك ليوم في هذه الدنيا وليوم في الآخرة. ثم ينحرون الجَزُور ويأخذون معهم الاكل والامتعة التي كانت وُضِعَت على الجمل المضحّى وينصرفون حامدين شاكرين.

اصل كلمة زنديق

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي.

كثُرَ ما قرأتُ من اسم الزنادقة ووصف زندقتهم في تآليف الشرقيين ولا اذكر اني عثرت مرّةً على هذا الاسم دون ان اراجع كتابًا او قاموسًا لاستخراج معناهُ الصحيح املًا بان اظفر بما يرتاح اليهِ لبّي ويقتنع بهِ تمامًا عقلي. فطاش سهمي مع ما واصلتُ من السعي وتحمّلتُ من الكلف والجهد

واوّل ما طالعتُ كتاب الفهرست لابن اسحق الورّاق لانّ هذا المؤلف الشهير احسن في وصف اخبار ماني الزنديق ونعت شيعتهِ المرذولة فكتب في ذلك مقالةً متّسعة جليلة الفائدة عليها المعوّل في ترجمة هذا المبتدع. غير اني لم اعثر فيها على المطلوب

ثمّ سرّحتُ النظر في كتب المؤرخين من العرب كالطبريّ واليعقوبي والمسعودي وغيرهم ممن حصلوا على الشهرة الطائرة في العلوم التاريخية والاسانيد الصحيحة فلم أنل منهم المرغوب. وكذلك لم اجد في تصانيف اللغويين ما بهِ اشفي غليلي. فدونك بعض اقوالهم لترى ما اتى فيها من الاخبار المتباينة والآراء المتضاربة

قال صاحب تاج العروس: «(الزنديق بالكسر من الثنوية (١) كما في الصحاح (او هو (القائل بالنور والظلمة) كما في العباب (او من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيّة) وفي التهذيب: ووحدانية الخالق (او من يبطن الكفر ويظهر الايمان). قال شيخنا: والفرق بينهُ وبين المنافق مشكل جدًّا. كما في حواشي الملا عبد الحكيم على تفسير البيضاوي (او

١) يعلم القراء انّ ما اتى في تاج العروس بين قوسين هو للجوهري صاحب الصحاح والباقي هو شرح لصاحب التاج

هو معرب « زن دين » اي دين المرأة) نقله الصاغاني هكذا. وقال الخفاجي في شفاء الغليل: بل الصواب انهُ معرب « زنده » . وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندهُ الذي يقول بدوام بقاء الدهر . قلت : والصواب ان الزنديق نسبة الى الزند وهو كتاب ماني المجوسي الذي كان في زمن بهرام بن هرمز بن سابور وبدَّعي متابعة المسيح عليهِ السلام واراد الصيت فوضع هذا الكتاب وخبأهُ في شجرة ثم استخرجهُ . والزند بلغتهم التفسير يعني هذا تفسير لكتاب زرادشت الفارسي واعتقد فيهِ الالهين النور والظلمة . . . الخ » ١٠ .

وجاء في شفاء الغليل « ليس (الزنديق) من كلام العرب . انما تقول العرب رجل زندق وزندقي اي شديد البخل . واذا ارادوا ما تقول العامَّة ملحدًا قالوا « دَهري » . واذا ارادوا المسنّ قالوا « دُهري » بالضم للفرق بينهما » .

وروى المسعودي قال : « وقد ذُكر انَّ بهرام (ابن هرمز) اتاهُ ماني بن يزيد (وهذا غلط والصواب ابن فتق) تلميذ قاردون فعرض عليهِ مذهب الثنوية فاجابهُ احتيالًا منهُ عليهِ الى ان احضر دعاتهُ المتفرقين في البلاد الذين يدعون الناس الى مذهب الثنوية فقتلهُ وقتل الرؤساء من اصحابهِ . وفي ايَّام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذي اليهِ اضيفت الزندقة . وذلك ان الفرس حين اتاهم زرادشت بن اسبيان على حسب ما قدمناهُ من نسبهِ فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الاولى من الفارسية عمل لهُ التفسير وهو الزند . وعمل لهذا التفسير شرحًا سماهُ البازند على حسب ما قدَّمناهُ . وكان الزند بيانًا لتأويل المتقدّم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئًا يخالف المُنزل الذي هو البستاه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا « هذا زندي » اضافة لهُ الى التأويل وأنهُ منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل . فلمَّا ان جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس فقالوا زنديق واعربوهُ . والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القِدَم وابى حدوث العالم » .

وقال ابو عبد الله الخوارزمي الكاتب في مفاتيح العلوم : « الزنادقة هم المانوية وكانت المزدكية يسمون بذلك ومزدك هو الذي ظهر في ايَّام قباذ . وكان موبذان موبذ اي قاضي القضاة لمجوس . وزعم ان الاموال والحرم مشتركة واظهر كتابًا سمَّاهُ زند . وزعم ان فيهِ تأويل الأبستا وهو كتاب المجوس الذي جاء بهِ زرادشت الذي يزعمون انهُ نبيهم فُنسب

اصحاب مَزدك الى زند. فقيل زندي واعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق وللجماعة زنادقة ». اه (١

وقال آخر . . . وآخر . . . وآخر . . . ومرجع كلهم الى ما اقتطفناهُ من كلام المؤلفين المذكورين . فلا حاجة الى ايراد ما لا يزيد القرّاء علماً فضلًا عن انهُ يزيدهم مللًا وسآمةً

واذا تأملتَ كل ذلك مليًا يا ايها القارئ الاديب فما عسى ان تستنتج منهُ في شأن الزندقة ؟ كاني بك تجيبني . اولًا : لمن المقرّر ان لفظة زنديق غير عربية بل فارسية . وهذا استنتاج صحيح لا مردَّ عليهِ اذ تحقّق ورود تلك الكلمة في كتب الفرس القديمة قبل الاسلام . ثانيًا : انهُ من المقرّر ايضًا ان الأبِستا كتابٌ من اقدم كتب الفرس والزّند تفسيرٌ للأبِستا . وذلك ايضًا صحيح لا نزاع فيهِ (٢ وزد عليهِ ان هذين الكتابين كانا بمنزلة واحدة من التكريم والتعظيم عند الفرس القدماء .

ولكن هل نزعم ان اصل الزنديق من الزّند كما يقول معظم كتبة العرب لاسيما متقدّمهم في ذلك اعني بهِ المسعودي ؟ لا اظنّ . فان الزنديق والزند لا علاقة بينهما اللهمَّ الّا موافقة بعض الاحرف في صوتٍ واحدٍ . وهذا امر اثبتهُ السيّد جمس دَرْمستتر (J. Darmsteter في المجلّة الاسيوية 1884, I. p. 562) فأيّده ببراهين مقنعة . لان الزنادقة قد ورد ذكرهم قبل تأليف الزند اي في الأبستا عينهِ حيث قيل : « اننا جعلنا الصلاة . . . لكي تحارب الزّنده والساحر وتخزيهما جميعًا . » امّا الزنده في الفارسية الاولى فالمراد بها شريعة الساحر او بعبارة اخرى السحر كما يتضح من القرائن . امّا صورة هذه اللفظة من حيث الاحرف فغير صورة الزند الذي معناهُ التفسير (٣ . فالزندي اذن في التاريخ القديم ساحر قبيح المذهب سيّئ المعتقد والصنع . فكفى بذلك برهانًا

وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون فتلفّظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت

١) هكذا ورد ايضًا في تآليف بعض المؤرخين من الارمن (راجع Tabari Nöldeke p. 40)

٢) ان اول من لاحظ موافقة قول العرب في معنى الزّند مع الدلائل الموجودة في كتب الفرس الاقدمين هو الموسيو شپيغل (Spiegel) (راجع ZDMG, VII, p. 103) . الّا انهُ لم يعدل عن راي المسعودي في شأن الزنديق

٣) والفرق بين الكلمتين بيّن فانّ الزند بمعنى التفسير مشتقّ من زنتي (Zanti) . اما الزنده فهو بالفارسية (Zanda) ومعناهُ السحر لا غير

(بتصحيف الحرف الاخير) لفظة زنديق الشائعة عند العرب وهم ابتكروا لها ضروبًا من الاشتقاقات وتخيلوا لها انواعًا من الخرافات

وخلاصة القول ان الزنديق لفظة فارسية عريقة في القِدَم معناها الاصلي رجل السِّحْر لا رجل التأويل كما زعم العرب ومن ذهب مذهبهم

البيطرة عند الأعراب

نبذة لحبيب افندي شيحا البغدادي عرّبها حضرة الاب انستاس الكرملي

إنَّ من نظر الى انتشار العلم ونُشوءِه بين المدن والقُرى لا يمالك من ان يقول انهُ بعد قليل من الزمن لا يبقى للأحوال الحاضرة اثر بعد عين. وحينئذٍ يسأل نفسهُ قائلًا: وما عسى كان يفعل اولئك الناس الذين كانوا يعيشون في البوادي. وما كانت معرفتهم من الطبّ والبيطرة ومعالجة الأدواء ونحو ذلك. فيا حبَّذا لو كانوا دوَّنوا أعمالهم في كُتُب لنطَّلع عليها. وإجابةً لهذا الهاجس قد كتب المسيو حبيب شيحا كتابًا فرنسيًّا البارة في هذا المعنى واودعهُ انواع الفوائد والغرائب فجاء فريدًا في بابهِ وذلك لانَّ ما ذكرهُ في كتابهِ هو من المحقَّق المثبت اذ عرف اهل البادية معرفة تامة لانهُ عاش مع انواع قبائلهم وعشائرهم في اصقاع مختلفة مكَّنتهُ من الوقوف على احوالهم وعوائدهم مدَّة سنين عديدة. وها اني اعرّب عن كتابهِ ما جاء في باب البيطرة

١ امراض الراس في الخيل

يُصيبُ الخَيلَ في رأسهِ مرضان: فمن علامات (الاول) سيلان مادَّة من الفم والمنخرين وفقد شهوة الطعام. والدواء الناجع لهذا الداء ان يؤخذ شيءٌ من زيت الأنيسون فيهِ قليل من الملح يُفرَغ الكلّ في حلق الدابَّة. ولهذا الداء آخر وهو ان يُحقن الحيوان بشحم الديك والخَرَز. ولهُ علاج ثالث وهو ان يُعمل لهُ المشرُوب الآتي:

٦ غرامات نشادر – ٦ غرامات زعفران – ٢٤ غرامًا من ماء الورد

يُمزج الكلّ معًا ويُصبُّ منهُ قطرات في الفم. اما مرض الخيل (الثاني) فيمتاز بتيبُّس الحلق وعدم القوَّة على الشرب. فيعالج كما يأتي:

٥ غرامات نشادر – ٥ غرامات زعفران – ٨ غرامات سكّر

يُمزج الكلّ ويتخذ منهُ عجين ويُقسم اربعة أقسام يُعطى لهُ منهُ كل يوم قسم. ولهُ علاج آخر افضل من الذي تقدّم وصفهُ وهو هذا:

٦ غرامات موميا – ٥ ملح عجمي

يُسحق الكلّ سحقاً تاماً ويدخل في انف الدابة بنفخهِ اياهُ بواسطة قصبة ويمسك انف الفرس الى ان تسيل الدموع من عينيهِ ثم يُربط رأسه بنوع يجعلهُ متّجهاً الى الاسفل لتنصبّ منهُ المواد بسهولة. ولا يُطعم ذلك اليوم ولا يُشرب. وفي اليوم الثاني يُشرب فقط ثم يؤخذ مُحّان من البيض (اصفرا البيض) ويجعلان في نصف ليتر من السيرج. ويعمد ذلك يُدلك بهذا المزيج رأسهُ. ويجعل منهُ قليل في فمهِ ويوضع منهُ ايضاً في مِخلاتهِ عند إطعامهِ الشعير حتى يدخل هذا الدواء كلّ جسدهِ. فيتلو ذلك زوال المواد فيتمّ الشفاء.

واذا كان الداء في النخاع نتيجة برد فعلاماتهُ ما يأتي: يهزّ الحصان برأسهِ وتظلم عيناهُ فيكون هذا نوعٌ من الفالج يُصيب الحيوانات ويعالج كما يأتي:

٥٠ غراماً من الشاي – ١٥ غراماً من الكركم – ٦ غرامات من راس القرنفل (كبش القرنفل) – ١٥ غراماً من السكّر

تُسحق جميعاً سحقاً تاماً وتُمزج في ٥ لترات من الماء الزلال ثم تُغلى سويّةً الى ان يبقى منها ثلثها. ثم يقسم هذا الماء المغلي ثلاثة اقسام ويُحقن كل يوم بجزءٍ واحدٍ منها.

واذا كان برد الرأس نتيجة نزلة حدثت اثر عرقٍ مفرط فيؤخذ اذ ذاك:

٥ كيلوغرامات من اللبن الحليب – ٥٠٠ غرام من الثوم – ٥٠٠ غرام من السكّر الاحمر ويقدره من السكّر الابيض

يُمزج الكلّ معاً ويُعطى منهُ الفرس

٣ في جنون الخيل

يقال جُنّ الفرس اذا بدأ يرفس ويرمح ولا يدع احداً يدنو منهُ ويأكل كثيراً بدون ان يفيدهُ الطعام شيئاً. ويعالج هذا الداء باربعة انواع مختلفة وهي:

١ يُفصد من جانبي الشفتين ويُحقن بخمر ويُقلّل عَلَفُهُ الى ان يهزل الفرس

٢ تُؤخذ مرارة البومة او مُخيخها ومرارة المعزة والنزال وتُمزج معاً ويقطر منها في انف الحصان

٣ يُغلى تمرٌ عتيق في الماء ثم يصفّى ويُحقن بهِ. ثم بعد ذلك يؤخذ جزء من شحم

العترة وجزء من ماء الورد وجزء من الكافور وجزء من روث الحمير تُمزج سويةً ويدخل منها في انفهِ

٤ يُذاب على النار من شحم الخروف ويُسحق فيهِ لبّ الجوز ثم يُطعم الفرس هذا المزيج

٣ في حُمّى الخيل

هذا الداء يصيب الخيل على ثلثة انواع: النوع الأول يُعرف بحرارة دائمة تظهر بالعلامات الآتية: يطأطئ الفرس راسهُ واذا مشى لا توافق ايديه ارجلهُ ويهزل يوماً فيوماً ويرفع ارجله بصعوبة

ويُشخَّص النوع الثاني بضعف بصر الفرس وبغشاوة على عينيهِ وبانحدار الدموع

ويُعرف النوع الثالث من الحمَّى بانفتاح المنخرين انفتاحاً فاحشاً وبتنفُّس حارّ وبمفاجأة حرارة شديدة تليها برودة. وتُعالج الحمَّى كما يأتي:

٤ كيلوغرامات من الزبيب الاسود — ٣٠ غراماً من الملح — ٣ او ٤ خيارات — قليل من الشاهترج والجبن

يُخلط الكلّ في لترين من الماء ويُغلى معاً الى ان يبقى منهُ النصف ثم يُصفَّى وتُشرَب منهُ الدابة (ستأتي البقية)

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان أذينة يؤثر خير الدولة الرومانية على خيرهِ وصالحِ الخاصّ غير انهُ اخذهُ الارتياب وداهمتهُ الحيرة فكان لا يعلم أيواصل محاصرة المدائن ام يتركها مبادراً الى مقاومة الخوارج. فبعد التروّي جزم على المباشرة بما رآهُ انسب لحفظ سلامة المملكة. فلم يتم ان غادر المدائن ورجع الى تدمر حيث اتّخذ اسم الملك ثم اسرع المسير الى ملاقاة مكريانس. الّا ان هذا الباغي الشرير كان قد ترك الشام فصار الى مقاتلة غاليانس القيصر (١ بعد ان خلَّف في الاقاليم الشمالية كيانوس احد ابنَيهِ ليقوم فيها مقامهُ وجعل معهُ كاليستوس (او باليستا) نائبهُ المذكور

وبينما كان ملك تدمر زاحفاً الى مدينة حمص اذ ورد خبر كسرة مكريانس وقتلهِ في

---

١) راجع تريبيليوس Trig. Tyr. 11

بلاد اليرية او ثراقية (١ فتنيَّر السوريُّون عمَّا كانوا عليهِ من طاعة كياتوس بن مكريانس وخلعوهُ والقوا بزمام امرهم الى أُذينة. فالتجأ كياتوس مع كاليستوس الى حمص وتحصَّنا فيها مدَّة وجيزة. فما لبثا ان داهمتهما فرسان تدمر وأحاطوا باسوار المدينة. فلمَّا اخذوا بمحاصرتها علم كاليستوس أنْ لا سبيل لهُ الى النجاة فخان كياتوس سيّدهُ وضربهُ بالسيف وشدخ رأسهُ ورماهُ من فوق الاسوار عند قدمي أُذينة ثمَّ فتح لهُ ابواب المدينة والتمس منهُ الامان. فمنحهُ أُذينة العفو ودخل البلد بعسكرهِ فاستقبلهُ الاهلون استقبالًا بهيًّا شائقًا (٢٦٢ م) (٢

وبعد ان اراح أُذينة جنودهُ بضعة ايام خرج من حمص يريد حرب بقيَّة الخوارج. فبينا هو على ذلك اذ تمرَّد عليهِ كاليستوس فانتدب اشياعهُ واطلقهم على المدينة فثاروا باهلها وضربوهم بالسيف (٣ ثم الجأهم الباغي الى ان يبايعوهُ ففعلوا وبدأ هذا الظالم يجول في البلاد مدَّعيًا الملك لنفسهِ. فلمَّا ورد على أُذينة خبر خروجهِ وسوء تصرُّفاته ارسل عليهِ بعض المتاب ففجأوهُ في خيمتهِ واحتزَّ رأسهُ احد الفرسان (٤

امَّا أُذينة فتمَّم فتوحاتهِ وشنَّ الغارة على نواحي الجزيرة واعمال فارس (٥ فمنحهُ الله اكتاف بعض مرازبة شابور وارسلهم الى غاليانس يُعلمهُ ان الاقاليم رجعت الى السكينة والسلم

وكان القيصر في تلك الاثناء قد ذلَّل رقاب البرابرة من الالمان والفرنج وقهر خوارج إليرية وغالية. فلما انتهى اليهِ خبر أُذينة سُرَّ بهِ سرورًا شديدًا ووافق ورود هذا النبأ خبر تغلُّب ثيودوت قائدهِ على اميليانس في بلاد مصر وانتصار قائد آخر على القوط. فلما كانت سنةُ تلك السنة العاشرة لملكهِ تقدَّم بان يقام عيد فاخر تذكارًا لنُصرة على جميع اعداء

١) راجع تريبيليوس Trig. Tyr. 2 وزوناراس ١٢ : ٢٣ وقد ورد في تاريخ اوسابيوس (٧ : ٢٣) ان النصارى فرحوا لهذا الخبر فرحًا عظيمًا لان مكريانس لم يزل يضطهدهم مدة ولايتهِ في الاقاليم السورية ومنذ ذاك العهد امر غاليانس بكفّ اضطهاد المسيحيين في جميع انحاء المشرق كما فعل قُبَيل ذلك في الاقطار الغربية

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبيليوس Trig. Tyr. 11-13

٣) راجع تريبيليوس Gall. 3

٤) راجع تريبيليوس Trig. Tyr. 17 وزوناراس ١٢ : ٢٤

٥) وقد تشكَّى مؤرخو اليهود كثيرًا مما نالهم من الاذى عند محاربة أُذينة لشابور لاسيما في مدينتهم المسماة ناهدره من اعمال الجزيرة. وهي مدينة مشهورة عند اليهود بعدَّة مدارس يتعلَّم فيها الربانيون علوم ديانتهم وفنون تقاليدهم (راجع Groeg: *Hist. des Juifs* IV, 432

الدولة الرومانية. فاحتُفل بالعيد في العاصمة بأبهة عظيمة استرسل في وصفها المؤرخ تريبيلليوس پوليو

الّا ان غاليانس رغمًا عن اخماد كل الفتن لم يكن ليسترثق من استقرار الملك لهُ وفكّر في وجه تأييد اركان الدولة وتوطيد قواعدها. ففتّش عن رجلٍ صالح امين نهوضٍ يشاركه في المُلك ولم يجد في جملة قوّادهِ وعمّالهِ الّا أُذينة ملك تدمر وامير قبائل البادية. فاقرّ لهُ بحقّ الرئاسة ودعاهُ امبراطورا (١ على جميع انحاء المشرق اي على الشأم والجزيرة وآسية الصغرى سوى بيثينية وبضعة نواحٍ شمالية (٢٦٤ م) (٢. ثم أمر بضَرْب نقودٍ باسم أُذينة فضربت ونُقشت عليها صورة هذا الصنديد وروراءهُ بعض الاسرى من الفرس. وكان لهذا الخبر رنّة عظيمة عند مجمع الشيوخ الاعلى وفي الممالك الرومانية قاطبةً

وتلقّب أُذينة مذ ذاك الحين باسم آخر يُناسب سموّ مقامهِ في عيون الشرقيين فدُعي «ملك الملوك» (٣ على منوال الاكاسرة واشرك ابنهُ هرُوديس في سياسة ممالكهِ الواسعة ونهض باعباء التدبير نهوضًا حسنًا لتثقيف أَوَد تلك الاقاليم الشرقية التي قد طالما توالى عليها الفتق وتفاقم فيها الصَدْع (٤

٩

واوّل ما سعى أُذينة وراءهُ ازالة اضطهاد النصارى في بعض المدن كانطاكية وحمص ودمشق وقيصرية. فاطلق لكلّ طائفة من الطوائف الحرّيّة الكاملة في امور الدين واوعز الى الوثنيين ان لا يتعرّضوا للمسيحيين في قضاء فروض عبادتهم. ومنحهم علاوة على ذلك الرُخصة في بناء الكنائس حيث شاؤوا

---

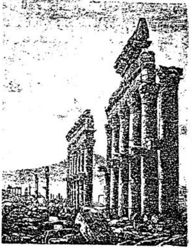
١) و باللغة اللاتينية : Imperator totius Orientis و باليونانية αὐτοκράτωρ

٢) راجع تريبيليوس Gall. 10-12

٣) راجع W. p. 601. c. 2 وتريبيليوس Gall. 10 وهنا مسئلة هل اتخذ أُذينة اسم اوغسط (Augustus) كالقياصرة الرومانيين . نجيب ان الامر ليس بمستحيل لكن لم يثبتهُ العلماء (راجع Mommsen : V. p. 433, 2. و F. Lenormant *La monnaie dans l'antiquité* (II. p. 379, 382) هذا على انَّ اسم ملك الملوك يوازي تسمية اوغسط (Augustus او Σεβαστός) الّا ان أُذينة لم يتلقب بهِ رسميًا في عاصمتهِ وانما دُعي بذلك في النواحي لا سيما بلاد الجزيرة و بلاد العرب وليس بمستبعَد انَّ وهبلات بن أُذينة يكون حذا حذو ابيهِ الى ان شمّرت الحرب عن ساقها بين زينب واوريليانس قيصر في اواخر ملك سلطانة تدمر. فبتلك الاثناء اتخذت هي ايضًا تسميته Σεβαστή

٤) راجع تريبيليوس Trig. Tyr. 14

ثمَّ اصلح فسادًا آخر كان قد استشرى في الشام منذ سنين. فان بعض الجنود من الرومان وغيرهم ممَّن قد تمَّت مدَّة خدمتهم العسكرية او هربوا منها كانوا يجتمعون فيئات فيجولون في البلاد وهم يشنّون الغارة على الاهالي ويستلبون اموالهم ويخربون منازلهم ويتلفون غلأتهم. وكان كاليستوس الذي قُتل في حمص قد استمال في حياته خلقًا كثيرًا من هؤلاء المَرَدَة. فلما مُثّل باميرهم تخوَّفوا العقاب فهربوا الى آسية الصغرى وتحصَّنوا في جبال ايزورية وسكنوها مدَّة الى ان قويت شوكتهم فولّوا عليهم رجلًا يُدعى تريبيليانس(١ وقصدوا مقاتلة القيصر الجديد. فلم يلبث أُذينة ان وجَّه اليهم احد قوَّاده اسمهُ كوسيوليوس وهو مصري الاصل فالتحم القتال في النواحي الشمالية وقُتل فيهِ الطاغي. فرجع السلم في جميع ممالك أُذينة



صورة بعض العُمُد من جهتها الداخلية

١) اعلم ان تريبيلوس پوليو المؤرّخ جعل هذا الباغي في جملة الثلاثين ظالمًا. (راجع *Trig. Tyr.*) وكانت بلغت بهِ جسارتهُ الى ان ضرب نقودًا باسمهِ

ألا انهُ قد بقي على قيصر تدمر ان يجبر بعض الوهنَ ويحسم بعض الداء . وهو ان الانحاء المجاورة للفرات كانت قد اصبحت على اسوإ حال من الفقر المدقع بسبب غزوات الفرس . فهجر الناس مساكنهم واراضيهم وجلوا عن البلاد ينتظرون عود السلام . فبشَّرهم أُذينة أنْ قد حان ميقات الصلح والسكينة فارجعوا الى اوطانكم ولا تخافوا على حياتكم واموالكم . فعادوا افواجاً من كل اوب مع عدَّة مهاجرين من بلاد اليونان وآسية الصغرى (١ وتفرَّقوا في اقاليم الجزيرة وانتشروا على ضفَّة الفرات واساهم الله على مصائبهم ونضَّر املاكهم فاضحت المدن التي قطنوا فيها من اعمر المدن واسماها على قدم النجاح . وكانت مدينتا نصيبين وحرَّان قائمتين في وجه العدوّ تردَّان غارات الفرس والبرابرة

ولم يكتفِ أُذينة بجميع هذه الاعمال الحسنة والمشروعات الجليلة . فانَّهُ لم يكن ليحسب نفسهُ سعيدًا والدولة الرومانية مظفَّرة ما دام شابور على عرش فارس وقومهُ غير مذلَّلين . فتأهب لمحاربة الفرس مرَّة ثالثة وحشد جموعهُ وتوجَّه الى المدائن ليُبيد رعايا شابور قتلًا واسرًا . فبادر كسرى لمجاذبته ونشبت الحرب بظاهر المدائن وزاحف كلُّ فريق عدوَّهُ وجرت مناوشات ووقائع افضت الى نصرة جيش أُذينة . الَّا انَّهُ لا يُعرَف أَفتح المدائن ام لا لانَّ قدماء المؤرخين لم [illegible] تلك الحرب (٢

١٠

هذا وكأني بأُذينة قد قُضي عليهِ ان يموت في غير المعركة . فان هذا البطل الذي احيا

---

١) قد قدَّمنا ان بلاد اليونان وآسية الصغرى كانت في قلق عظيم حين ظهور الثلاثين ظالمًا . وكان ذلك سببًا لمهاجرة جمّ غفير من تلك الاصقاع لاسيما من بلاد اليونان . فلمَّا كانت مدينة تدمر قد طار صيتها في الآفاق لاجل ابنيتها وكنوزها وطمأنينة حالها تقاطر اليها قوم غفير من اليونان من فصحائهم وتجَّارهم وصنَّاعهم وعلمائهم . ومن جملتهم العلَّامة لونجينوس الذي سيأتي الكلام عليهِ وقد وجَّه الى أُذينة خطبةً عنوانها « مدح أُذينة » فاستعطف بها ملك تدمر قبل ان يقدم على دخول عاصمته . والحقُّ يقال ان ولوج هؤلاء الاجانب في تدمر كان سببًا لارتقائها الى اعلى مراتب التمدُّن . الَّا ان ذلك نفسه كان ايضًا علَّةً لانحطاط حميَّة التدمريين وحبّهم لوطنهم . فتغلَّب عليهم روح اليونان وتكاثر بينهم اصحاب الدعارة وتداخل في امور السياسة جماعة من المتملّقين ولعلَّهم هم الذين اطرأوا زينب حتَّى طمعت فيما كانت عاقبتهُ هلاك ملكها وبوار سلطتها

٢) انَّ جيورجيوس لِسنْال المؤرّخ القسطنطيني وحدهُ اخبر انَّ أُذينة تمكَّن من فتح المدائن . والله اعلم

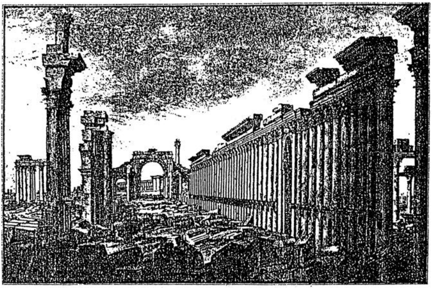
مجد الرومان الاولين قُتل قتلًا شنيعًا عند إيابهِ من محاربة القوط. واليك تفصيل القضية على وجه الاختصار :

بينما كان أذينة يحارب شابور بالمدائن انتهز القوط هذه الفرصة ليقتحموا على الاقاليم الشمالية. فلمّا علم ملك تدمر انهم رسوا بمرفإ هرقلية على شاطىء البحر الاسود ثمَّ زحفوا على بثينية وفريجية وغلاطية حتى كبادوقية بادر الى ملاقاتهم وانقضَّ عليهم كالنسر القشعم. ألا انَّ البرابرة افلتوا من مخالبهِ فولّوا مدبرين وعادوا الى هرقلية حيث كانت سفنهم فركبوها وابحروا الى بلادهم. فتأسَّف أذينة شديد الاسف لتملصهم من يدهِ لانَّ هؤلاء البرابرة كانوا قد خربوا عدَّة مدن وسلبوا الاسلاب وسبوا الذراريّ. بيد ان غاليانس كان وقتئذٍ في انحاء القسطنطينية فركب اسطولهُ وتعقَّب البرابرة الى ان ادركهم وقطع دابرهم

فلمَّا انتهى الى أذينة نبأ كسرة القوط فرح لذلك فرحًا شديدًا وتقدَّم الى جيشهِ بالرجوع الى المدائن. وكان أذينة اذا طال السفر يصرف وقتهُ في الصيد والقنص كمألوف عادة ملوكِ المشرق في ذلك العهد. فلما كان بين هرقلية والمدائن بعدٌ شاسعٌ اخذ يروّح النفس متصيدًا بصحبة هروديس ابنهِ ومَعَنِّي ابن اخيهِ خيران. وكان مَعَنِّي هذا يبغض أذينة وابنهُ ويُضمِرُ لهما الشرّ مدَّعيًا انهما تطاولا على حقوق رتبتهِ. وكان قد استمال بعض اهل الفتن لجمهم زمرة. واتفق ذات يوم ان أذينة كان يسدّد المرمى الى بعض الطريدة واذا بمعني رماها قبلهُ وكرَّر ذلك ثلاث مرَّات متعمّدًا

ولمَّا كان هذا الفعل يُعَدّ من اقبح الاهانات التي تمس بشأن الملوك غضب أذينة غضبًا شديدًا فعزم على معاقبة المجرم واخذ منهُ حصانهُ فكاد معني يتميَّز من الغيظ ولم يكن ليكظم حنقهُ واقبل يدمدم على عمهِ ويقذفهُ بهجر الكلام ويتهدَّدهُ. فامر أذينة بان يكبَّل بالقيود

ثمَّ لمَّا وصلوا الى حمص حلوا بها بضعة ايَّام لاراحة الجند والخيل. فانتهز أذينة هذه الفرصة واعدَّ مأدبة فاخرة تذكارًا ليوم ميلادهِ واستدعى اليها قوَّادهُ وامراء دولتهِ. وكان هروديس يحبّ معني محبَّة صادقة ولم يتَّهمهُ فاقبل على ابيهِ يطيّب نفسهُ من معني ويلتمس منهُ العفو. ولبى أذينة الى طلبتهِ واستحضر معني الى الوليمة. فبينا كانت الجماعة في فرح وسرور اذ قام معني وبعض عصبتهِ فثاروا بالأدبين وضربوا أذينة وهروديس



صورة قوس الانتصار والعُمُد من جهة الغرب (كما كانت في اواسط القرن الثامن عشر)

فقتلوهما (١ ثم صاحوا فاجتمع اليهم اشياعهم وبايعوا معني

وقد زعم قومٌ انَّ زينب كانت تبغض هروديس لكونه ليس بولدها فشجَّعت معني على هذه الفتنة الفظيعة رجاء أن يصير الامر الى ابنها وهبلات . ألا انَّ في هذا نظرًا . فكيف يمكن يا ترى مثل هذا الزعم مع ان زينب لم تجهل ان معني قاصد قتل زوجها وهروديس معًا ليستولي هو نفسهُ على رئاسة تدمر ؟ فهذا ما لا يقبلهُ عقل سليم كما لا يرضى بتُهَم أُخرى سيأتي عنها الكلام

وخلف أُذينة معني على عرش الممالك الشرقية . ألا ان اهالي حمص لم يكونوا ليحتملوا هذا الظالم فخرجوا عليهِ بعد ايَّام قلائل وقتلوهُ (٢٦٦ — ٢٦٧) (١ (ستأتي البقيَّة)

حاشية

قد قدمنا اكثر من مرة ان اسم زينب الاصلي انما هو بت زَبِيَه مستدين في ذلك على الكتابة التدمرية التي ادرجها المركيز دي فوكويه في مجموعهِ المعروف (n° 29) والآن نبَّهنا حضرة الاب غانم اليسوعي المحترم على ان في الكتابة المذكورة تصحيفًا استدركهُ المؤلف الشهير وأصلحهُ في الصفحة ١٥٣ من كتابهِ فوضًا عن : בת זבינה ידהא وترجمتهُ بنت زبينه التقبة (او المشهورة) قرأ בת זבי נהירתא يبدل الدال راء . ومعنى ذلك بنت زبَّاي المجيدة (راجع Inscript. Sémitiques 1868 – 1877)

(قلنا) انا نشكر لحضرة الاب غانم على هذه الملاحظة المهمَّة التي لم يتهيأ لنا ان نقف عليها عند تسطير ما سبق من مقالتنا لان المجموع الذي استخدمناه لا يتضمن الصفحات القلائل التي اضافها المركيز دي فوكويه الى تأليفهِ من السنة ١٨٦٨ الى السنة ١٨٧٧ . وقد بيَّن فيها ان المسيو مردتمان (Mordtmann) الذي رحل الى تدمر بعده ليراجع قراءة الكتابات التدمريَّة هو الذي اكَّد ان القراءة الصحيحة في اسم زينب الاصلي انما هي بت زبَّاي لا غير

فينتج من اصلاح هذا الغلط : ١ ان ما قلنا في زعم المسيو رَيْت (راجع ص ٥٩٠) لا فائدة منهُ . ٢ ان العرب حفظوا اسم زينب على صورته الاصلية اي الزباء مع حذف الكلمة الاولى بت او بنت . ٣ ان ابا زينب لم يكن زينويوس كما مرَّ (راجع ص ٤٣٩ و ٥٩٠) بل זבי زبَّاي وصورة هذا الاسم نفس الصورة التي ورد عليها اسم قائد الفرسان التدمريين الاعلى . ٤ ان في تسمية زينب بنت زبَّاي دلالةً صادقة ليس فقط على انها عربية الجنس بل ايضًا على انها من آل أُذينة اي من بني السميدع كما يقول معظم مؤرخي العرب . ٥ ان العرب الذين قالوا انَّ زينب كانت اختًا للزبَّاء قد حفظوا في الحقيقة اسمَي ملكة تدمر . ألا انهم ظنُّوا غلطًا ان زينب والزبَّاء اسمان لشخصين مختلفين (ستأتي البقيَّة)

---

١) وعلى ذلك قول الاعشى : ازال أُذينة عن ملكهِ واخرج عن اهلهِ ذا يزن

٢) راجع زوناراس ١٢ : ٢٤ وتريبيليوس Trig. Tyr. 14-16 وزوزيموس ١ وغيرهم

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٦

التنوير بالكهرباء

قد بقي علينا لتتمة مقالتنا في الطرق المختلفة للتنوير ان نبسط الكلام في اقوى ادوات الاستصباح واهمها نعني بذلك الكهرباء . واوّل ما وُجد النور الكهربائي في اوائل هذا القرن يوم أتخذ العلّامة الكيمويّ السير همفري داڤي اسطوانتين من فحم الخشب اوصلها بقُطبي بطاريّة قوية ذات ألفي عنصر فسطع نورٌ باهر بين رأسيها لكنّ هذا الاكتشاف لم يمكن الانتفاع به في الصناعة لتنوير العامّة الّا منذ وقوف الدكتور فارادي على مجاري الكهرباء الثانوية ووضع الادوات لتوليد هذه المجاري المعروفة بالدينامو

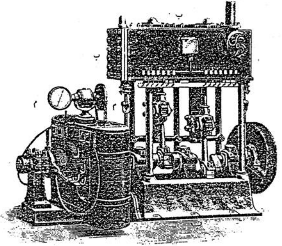
ومبدأ المجرى الثانوي في الكهرباء فانّ مرجعهُ الى هذا المبنى : اذا ادرت في ساحة ممغنطة موصلًا ذا دائرة مغلقة صار الموصل المذكور مركزًا لمجرى آخر من الكهرباء يُدعى مجرًى ثانويًا . امّا الآلات الكهربائية فهي ادوات تحوّل بها القوّة الميكانيكية الى قوّة كهربائية وذلك بان تُدار بسرعة في نطاق ممغنط عدّة ادوات قابلة تتّصل باسلاك مغلقة الدائرة

١ الالات المولدة للكهرباء او الدينامو

انّ الذي يجعل في آلات الدينامو ساحةً ما ممغنطة ليس هو من المغناطيسات الثابتة بل المغناطيسات (م م) الكهربية (électro-aimants) التي منها يتركّب المولّد (inducteur) وهي تقبل المجرى الكهربائي الذي تحتاج اليه امّا من الآلة نفسها وامّا من آلة مختلفة يقال لها منبّهة . وبين هاتين الملفّتين تدور بقوّة آلة محرّكة (ب — ب) ملفّتان (ل ل) قابلتان للمجرى الثانوي . وقد يضمّ هذه المجاري آلةٌ جامعةٌ (ج) تدور معها ثم تتصعّد هذه المجاري بواسطة مشتّين (ك ك) ثابتتين تمسّان الآلة الجامعة ومنهما تبتدئ الاسلاك

(راجع الشكل الاوّل)

وهذه الآلات تختلف صورها وتراكيبها اختلافًا كبيرًا . وما وصفنا منها آنفًا يُولّد مجرى الكهرباء بتواصل اي بدون تغيُّر في وجهته . ويوجد منها اصناف أُخر مجهَّزة لتغيير المجرى بحيث يمكن في كلّ لحظة عين ان يحوّل مجرى الكهرباء ويعكس . وربَّما وُجدت في بعض



آلة الدينامو

الآلات مجارٍ كثيرة متناوبة فتدعى اذ ذاك الآلة ذات مجارٍ متعددة الوجوه. ولا يُخفى انهُ يجب في هذه الآلات ان تكون قوة المحرك للآلة المولدة مناسبةً لقوة الدينامو وانَّ بين سرعة الدوران وقوة المجرى تناسباً. ويجوز انَّ يتخذ الماء او البخار او الغاز او البترول كقوةٍ محركة بشرط ان يكون عملها مضبوطاً منظماً

والمجرى الكهرباني الناتج من الدينامو يتجمع في جهاز يُدعى جهاز التوزيع فهناك يُقاس بواسطة ادوات التعريف ثمَّ يوجه حيث تقتضي الحاجة. واذا اردتَ ان تُبطل حركة الدينامو في الليل يمكنك لن تختزن المجرى الكهرباني في آلات خازنة او بطاريات ثانوية تكون كاحواضٍ تخزن فيها الكهرباء فتُستخدم عند الحاجة

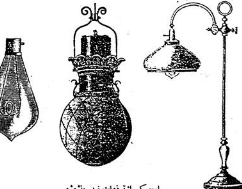
٢ المصابيح الكهربائية

هذه المصابيح على صنفين منها ذات قوس ومنها ذات تشعشع. ففي الضرب الاوَّل

تُطلَق الشرارة الكهربائية بين اسطوانتين من الفحم المدبّتين لهذه الغاية. ولأنّ هاتين الفحمتين تفنيان بالالتهاب فقد اودعتا في جهاز ذي حركة ذاتية يضبطهما في مسافة واحدة ثابتة. وهذه المصابيح شديدة الضوء يمكنها ان تبلغ درجةً من النور توازي الوفًا من مصابيح كَرْسل المثالية (راجع ص ١٨٢). واكثر استعمالها في الشوارع والساحات العمومية وفي المعامل الكبيرة وفي محطّات السكك الحديدية وفي الآلات المرسلة النور والمنارات الخ

امّا المصابيح المتشمشمة فاصطناعها مبني على مبدإ آخر وهو انّ المجرى الكهربائيّ اذا ما تلاقى في سيرهِ بجسم قليل النَّقل فكهرباء اعني مانعًا لجريها يحمى الى ان يلتهب ويتشمشع نورهُ. وزد على ذلك انّ هذا الالتهاب ربّما حدث في نقطة لا تصلح للاشتمال فيبقى السلك المنوّر زمنًا طويلًا لا يصيبهُ تغيير يُذكر. ولذلك تتخذ اجهزة من الزجاج يجعل فيها سِلكٌ من الفحم متّصل بمجرى الدينامو ثمّ ينزع الهواء من الزجاجة بالآلة المفرّغة ويُختم رأسها فيبقى الفحم منوّرًا لا يفنى بالاحتراق لخلوّ الانبوبة من الاوكسيجين

واصناف المصابيح المتشمشمة كثيرة وهي مختلفةٌ ايضًا في شدّة تشمشمها. ومنها ما يُباع في المتجر فيبلغ من حيث شدّة نورهِ ما يوازي مئاتٍ من الشموع المثالية. وبين هذه المصابيح صنف شائع للاستصباح الخاصّ في معاهد الشغل توازي شدّة نورهِ ست عشرة



مصابيح كهربائية ذوات نور متشمشع

شمعة مثالية . وقد استفدنا من مطالعة المجلات العلمية الاخيرة انهُ قد اكتُشف حديثاً مصباح كهربائي بلا سلك ولهُ ضياء ساطع شبيه بالضياء الصادر عن انابيب غسلر وذلك بقوة المجاري ذات السرعة الفائقة التي سبق لنا الكلام عليها في هذه المجلة

٣ اسعار المصابيح الكهربائية

لكي يقف قرّاؤنا على ما ينفق من الاثمان في اتخاذ المصابيح الكهربائية احببنا ان نبيّن لهم ذلك بمثل المصباح ذي النور الكهربائي الموازي لستّ عشرة شمعة . فان افترضنا ان جمية ما اعدّت كلَّ اللوازم لتحضير النور الكهربائي وانها بلغت نحو ٤٥٠٠٠ فرنك لتنوير ٢٠٠ مصباح وذلك لقاء كلفة ثلاث آلات بخاريّة وثلاث آلات دينامو وتركيب الجهاز والموصل الكبير وغير ذلك . فتكون كلفة المصباح المثالي في كل ساعة نحو خمسة سنتيمات واذا قابلت سعر التنوير بالكهرباء مع سعر التنوير بالغاز تجد انّ اسعار النور الكهربائي ارخص في المعاهد التي يُحتاج فيها الى النور مدّة ساعات طويلة وهو اغلى في ما سوى ذلك

٤ منافع النور الكهربائي

قد سبق انّ النور الكهربائي من حيث شدّة ضوئهِ يبلغ غايةً بعيدة . بيد انّ صحّة العين تقتضي اذا اتُّخذ النور القوسيّ ألّا يصيب هذا النور حدقة العين بل يُحجَز بينهُ وبينها . وذلك لانّ لون نور الكهربائي يضرب الى الزرقة ويدخلهُ كثير من الاشعّة البنفسجية والاشعّة الواقعة في الطيف الشمسي بعد خطّ الاشعّة البنفسجية وكلها يؤذي العين فيخفف اذاها بوضع زجاجة مطلية بطلاء ابيض

امّا المصابيح ذوات التشمّع فليس فيها شيء من هذه المضار فانّ نورها لطيف رائق ليس فيه حرارة او لا سيما بحرارته لقلّتها . وهذه المصابيح لا تحتاج لاصلاح او تعمير ولا يتنج عنها الّا نادرًا خطر الحريق

ومن خواص هذه المصابيح انهُ لا يُفسد بها الهواء ولا يتصاعد من نورها الحامض الكربونيك لانها كما سبق القول مقفلة بإحكام وضوءها يسطع دون مسّ الهواء . وذلك هو الداعي لاستعمال النور الكهربائي في بلاد كثيرة وكذا المراكب والملاعب والعمارات الحربية . والمعامل التي تُجهَّز فيها الموادّ القابلة الانفجار تُفضّل اتخاذ الكهرباء استدراكاً للاخطار

هذا ويحسن بالبلاد السورية استعمال الكهرباء في التنوير لانّ تجهيز آلاتها سهل جدًا

وذلك بالانتفاع من الشلالات الطبيعية كشلال جزين الذي يبلغ علوه تقريباً مئة متر وكشلال بتدين المعروف بالشالوف او بتهيئة شلالات اصطناعية في نهر الكلب ونهر بيروت ونهر بردى وهلم جرًّا . فانها اذا احكم إعدادها يمكنها ان تحرك الآلات المولدة للكهرباء . واليوم ترى في اوربة حتى القرى الصغيرة منوَّرة بالنور الكهربائي وربما استعمل القوم قوَّة الكهرباء لتحريك ادوات الصناعة والدواليب وتدفئة البيوت وطبخ الاطعمة الخ

الختام

وهنا نختم مقالتنا المطوَّلة في وسائل التنوير . ألا انها مع طولها ليست الَّا مجثّ ملخَّص عن كتب ضخمة أسهب فيها القول عن هذا الموضوع المهمّ وعلى كل حال انها لكافية ليكون للشرقيين بعض الالمام بهذه المادة الخطيرة . وهاك جملة ما نستخلصهُ هنا ممّا سبق فنقول

انَّ البلاد التي ليس بقربها مياه وانهار منحدرة من علو او التي يقلّ مهندسوها لتجهيز الآلات فالاولى ان تستنير بالبترول وهو ارخص ما تمّا سواء . امَّا المدن فيُفضَّل فيها اتخاذ الغاز لاسيَّما مصباح اوَر ان وُجد فيها معمل لتوزيع الغاز . واذا كان هذا المعمل يُجهِّز الكهرباء . والغاز معًا كما يجري ذلك في مدن مختلفة فرارًا من المزاحمة فالاولى ان تختار الكهرباء نظرًا لمنافعها الصحيَّة ولكن كما قلنا سابقًا اذا قلَّت ساعات الاستنارة بها اضحت الكهرباء اغلى من الغاز

امَّا بيوت الخاصَّة فان احبَّ اهلها اتخاذ الكهرباء للتنوير فذلك امر نافع جدًّا الّا انَّ النفقة لذلك طائلة باهظة

واذا كان لمعامل الصناعة آلات محرِّكة سواء كان في المدينة او خارجًا عنها فان صالحها يقتضي استعمال الكهرباء للتنوير . وكذا قُل عن البنايات العمومية التي تحتاج الى عدد وافر من الأنوار

هذا ومهما كانت الطريقة المتخذة للتنوير فالواجب ان يتذكَّر قرَّاؤنا انهُ يتحتَّم عليهم اتخاذ بعض الوسائل الصحيَّة ليصونوا عيونهم ورؤوسهم من أذى الضوء . وهذا الامر اكثر ضرورة في المدارس حيث يُقتضى الدرس في ساعات الليل . وقد اتت الاكتشافات الحديثة وسائط لاستدراك هذه المضارّ التي قلَّما تصيب من اشتغل بضوء النيّر الكبير الذي اشعله الله تعالى في كبد السماء ليضيء الارض

درس العربيّة

خطبة القاها الاب لويس شيخو اليسوعي في حفلة توزيع الجوائز في كليّة القديس يوسف

هي اللغاتُ ترى في سيرها غيرًا تبدو فتذكو لحين ثمَّ تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيلًا ثمَّ يعقبهُ زهرٌ وطيبُ ثمارٍ ثمَّ ينقصفُ

ايها السادة الكرام

هذا ما نعت به بعض شعراء العصر لفيف اللغات التي شاعت بين الملا في ممرّ الاجيال. وايمُ الحق انَّ من اعتبر تاريخ ألسنة البشر واستقصى ما طرأ عليها من التقلّبات يراها في اطوارها اشبهَ باطوار حياة كل حيّ على الارض اعني انها تولد كالطفل الرضيع ثمَّ تتخرّج من قُمُطها فتنشأ وتترعرع كالحدث اليافع ثمَّ تزدهر فتبلغ عزَّ قوّتها كالكهل التامّ الشباب الى ان يتقلّص ظلّها وتتضعضع قواها كالشيخ الهرم فتموت وتضحي نِسيًا مَنسيًّا في بطن المكاتب او زوايا المدارس كالميت المُحنّط المُدرّج في ضريح قبره.

بيد انَّ الله عزَّ وجلَّ قد استثنى من حكمهِ هذا بعض اللغات فخصّها بحياةٍ اطول ممّا سواها فتخالها كالنسر لا تزال تجدّد شبابها وتعمّر العمر الطويل الذي هو أحرى بان يدعى صَنفًا من الخلود

ولغتنا العربيَّة ايها السادة الاجلاء قد اصابت من هذا القبيل بالسهم الفائز والقِدح المعلّى فانَّ من يتتبَّع آثارها ويتحقَّى في درس تاريخها مدى القرون الغابرة يراها في كلّ آنٍ مزدانةً بخواصّ اللغات الكاملة من حيثُ مفرداتها وتراكيبها وعباراتها واساليبها كأنها ظهرت بادئ بدءٍ تامَّة المدَّة كاملة الأهبة. واذا قابلنا بين اللغة الشائعة في يومنا مع لغة اقدم الشعراء كامرئ القيس والنابغة لا نكاد نرى بين اللغتين اختلافًا يُذكر اللهمَّ الَّا في استعمال بعض الفاظ لغويَّة شعريَّة كما جرى ذلك في نثر ونظم كلّ اللغات القديمة او في اتخاذ بعض التعابير الجديدة دلالةً على المعاني المستحدثة كما هو دأب اللغات الحيّة.

فكأني اذن بالعربية عذراء فائقة الجمال تامّة الشباب لم تأنس بضعف الطفولية ولم تعرف غضون الهَرَم

ومن عجيب امر لغتنا العزيزة أنهُ مرَّت عليها صروف الدهر وكوارثهُ دون ان تمسّها الأيام بأذًى فترى الشعوب تتوالى بضَبْط عِنان الامر وتجلس الدول واحدةً بعد أُخرى على منصَّة الملك وتحت السلطنة والعربية باقيـة كما هي لا يُصيبها تغير جوهريٌّ ولا يستولي عليها فساد

وقد كان سرى اليهـا في غرة هذا العصر بعض الخمود والفتور حتى اننا كنّا نسمع منذ خمسين سنة من يتنبأ للغة العرب بسوء المُنْقَى وشرّ المنقلَب. فيقولون لا يمرّ على اللسان العربي العشرون سنة دون ان يُدرج في الاكفان. فيصير الى خبر كان

قد كذبت والحمد لله اراجيف انبياء السوء وها انكم أيها الجلوس الكرام ترون العربية في أيامنا اعزّ شأنًا وابهى مقامًا منها في الاجيال السالفة وكيف تموت وقد عُدَّ المتكلّمون بها فاذا بعددهم يُرْبي على المئة ألف الفٍ ؟ اوكيف تموت وقد خلفت لنا امها السابقة كنوزًا ادبية وتركةً علمية تزري بقلائد العقيان ودراري المرجان ؟ اوكيف تموت ويحييها كلَّ يوم ربّات من الكتبة البارعين والشعراء المفلقين ؟

لا وحياة الحقّ انَّ العربية لم تمت ولن تموت ولست ارضى بشاهدٍ على هذا القول سوى ما رأيناهُ رأي العيان منذ خمسين سنة اذ نشطت النفوس وقام قائم الهمم في احياء آثارها الدائرة فبلغت الآداب العربية بعد برهة من الزمان ما لم يكن في الحُسبان

وما من شأنهِ ان يُذهل العقول ويُدهش الالباب انّ الاجانب كانوا اول من شمّر عن ساعد الجدّ للقيام بهذا الامر لا يثنيهم عن القيام سعيٌ ولا كدٌّ. فانهم لما أمعنوا النظر فيما أُودِعتهُ مكاتبهم الاوربية من المصنّفات العربية وشاموا برق فوائدها الجمَّة اقبلوا على دراستها ولا اقبال الإبل الصديان الى ينابيع المياه فنشروا منها قسمًا كبيرًا بالطبع وانشأوا المجلّات العلمية للبحث في خواصّها وعوائدها واجتناء فوائدها وفوائدها بل لم يدعوا مدرسة من مدارسهم الكلية الَّا وفرضوا فيها درس اللغات الشرقية وعلى الاخصّ لغتنا العربية بفروعها.

ولو حاولتُ ان اسرد اسماء من برَّز عندهم في هذا المجال لاسيّما بين مستشرقي فرنسة كدي ساسي ورينو ودي برسڤال وبين مشاهير المانية كفريتاغ وفلوغل لطال بي المقال وادّى بي الى الخروج عن حدود الايجاز المفروض في مثل هذه الحفلات. وحسبي آن اقول انّ

المطبوعات العربية وحدها التي تصدر في انحاء اوربة فضلاً عن بقية اللغات السامية تنيف كلّ عام على الالف والثلاثمائة بين التآليف الصغيرة الحجم والكبيرة ذات المواضيع المتوسطة والخطيرة. وذلك بلا مراء اقوى دليل على ما في علماء الغرب من الكلف بنشر كتبنا العربية

هذا وانّ شرقنا العزيز لم يك ليعاين هذه المساعي المشكورة بعين جامدة بل استفزّته الاريحية فنزل في الميدان ليجارل السباق مع الغرب كأنهما فرسا رهان. فلم يلبث الّا الزمن القليل حتى جاءت همّة القصاء بمآر شهية ارتاح اليها سواد العلماء فزهت معامل الطباعة في القاهرة وتباهت الاستانة العلية بمطبوعاتها واستلفتت اقاصي الهند نظر الادباء بما اصدرت من المصنّفات الجليلة

وكأني بكم أيها الحضور الكرام. توجهون اليّ سهام الملام. فتقولون وكيف ذهلت عن بلادنا السوريّة مع ما احرزتهُ من هذا القبيل من المجد الاثير. واصابتهُ من المقام الرفيع الخطير

مهلاً القول سادتي وما سكتُّ عن مفاخر بلاد الشام الّا لأُفردها بالذكر. وأخصّها بجسيم الشكر. والحقّ يُقال انها قامت بهذا المشروع قبل سواها من الاقطار الشرقية. فلها على اقرانها سابق الفضل وشرف الاوّلية. فانّ اسماء مدارس عين ورقة والشرفة ومار عبدا وريفون وعينطورة وعين تراز ودير المخلّص وغزير وغيرها اصحت اشهر من نار على علم

أجل لقد مرّ على سوريّة نيّف وخمسون سنة منذ اخذ الشأن يشدّون اليها الرحال. ويتقاطرون اليها من كل أوب ليستقوا من موارد آدابها الماء الزلال. وهم يثنون على تهذيب مدارسها اطيب الآمال. الّا انّ بيروت لم تلبث ان تجتذب اليها كالمغناطيس كل القلوب بحسن موقعها واعتدال هوائها وتوسّطها بين البلاد مع ما خُصّ به اهلها من الانس ولطف الطباع. وذلك فضلاً عمّن قام وتنشّر فيها من مشاهير الرجال ممّن أُشير اليهم بالبنان ألا وهم قوم من الائمّة جموا من الفضل أتمّهُ. ومن العلم والآداب ثمّهُ ودمّهُ. فاستوجبوا كلّ ثناء على مساعيهم المبرورة. واعمالهم المشكورة. فباعزائهم هبّت بيروت من سِنتها. ونهضت من رقدتها. وعادت بالفكر الى ما سلف من الاجيال فتذكّرت سابق شهرتها. اذ كانت فيها المدارس زاهرة. والبنايات عامرة. والخيرات وافرة. فقال لسان حالها: « لات وقت خمولٍ وفَشَلٍ. وحانت ساعة عمل »

فما كان اسرع من ردّ الطرْف حتى انتعشت في بيروت الحميّة فجعلت ترتقي مراقي

النجاح. وتصعّد في معارج التقدّم والفلاح. فانتشرت فيها المطابع وتشيّدت المدارس وتوفّرت فيها نوادي العلوم كالمدرسة البطريركيّة ومدرسة الحكمة حتى صارت محطّ عصا الترحال. ومورد مطامع الآمال. وكنت ترى للعربية. في هذه النهضة المرتبة العليّة لا يكاد يمرّ يومٌ دون ان يتحفنا ادباء بيروت بالمقالات الرائعة. والتصانيف البارعة. فضلًا عن عدد وافر من الجرائد والمجلّات العلميّة فصارت في أعين اوربة مطبوعات بيروت كآية عن مصنّفات تامّة المحاسن جامعة بين حسن السبك وجودة المعاني. فللّه بيروت فانّها حقيقةً اضحت كروضةٍ غنّاء. تستظلُّ بوارف ظلّها جماعة طيور السماء.

وان سُمح لي ايّها السادة ان اتخلّص من مدح بيروت ومدارسها الزاهرة الى ذكر كليّتنا هذه العامرة التي شرّفتموها بحضوركم في هذا المساء. قلتُ انّ احدى الغايات الاولى من تشييد هذه الكليّة انّما هو تلقين تلامذتها لغتهم العربية. وما ضرّ انّ كثيرًا من الرهبان المتولّين ادارتها ليسوا من ابناء الوطن لأنّهم لمّا انتدوا بإذن رضاهم من اوطانهم وانفصلوا عن اهلهم وخلّانهم اتّخذوا لهم محلّ سكناهم كوطن فاتّسموا بسيماه واستثمروا آدابه فجعلوا لسانهُ كلسانهم. كما انّهم يُعِزّون سلطانهُ كسلطانهم

وعلاوة على ذلك انّ بين قوانين الرهبانية اليسوعية بندًا يفرض على ابنائها اذا ما دخلوا بلدًا ان يتفرّغوا لدرس لغته ما لم تحُل الظروف دون مرامهم. يشهد بذلك مئات بل الوف من الكتب وضعوها في كلّ لغات المشرق كالصينية واليابانية والهندية والفارسية. وعليه فما كادت ترسخ قدمهم في الاصقاع السوريّة حتّى انكبّوا ايّ انكباب على درس العربية. ولا حاجة لي ان اعدّد هنا من خلّف منهم لسلّفهم إرثًا علميًّا لا يزال يستثمرهُ آل عصرنا. وقد انتهى بامثالهم من اتى بعدهم. واليومَ لا نكاد نرى بابًا من العلوم الّا ولجوهُ ولا فنًّا من فنون العربية الّا وضعوا فيه عدّة مؤلفات. فانّ الكتب التي صدرت من مطبعتهم بقلم مؤلفيهم قد جاوزت الثلاثمائة عدًّا. هذا ما خلا جريدتهم الاسبوعية. ومجلّة جديدة اخذت تبحث في كلّ مواد المعارف البشريّة .

ولكن اذا كان اليسوعيون لم يألوا جهدًا في درس العربية ما أمكن ليست همّتهم بتدريسها اقلّ شأنًا. ولا اعتبارهم لها بين بقيّة الدروس اوضع مكانًا. نعم اننا نريد ان يُتقن تلامذتنا اللّغات الاجنبية لما في إحكام اصولها من الفوائد لتثقيف العقل وتحسين الذوق فضلًا عن انّها تُدني اليهم الاقتباس من انوار اوربّة وعلوم اهلها وآدابهم

واكتشافاتهم. الا انّنا نودّ ايضًا ان يتمكّن الطلبة الواردون الى مدارسنا من معرفة لغة اجدادهم فينالوا اقصى ما تبلغ مَقدرتهم من الجدّ لاحراز فوائدها. وذلك امر لازب لانّ الغاية التي نترجّاها في مدارسنا ان نُعدّ للاهلين اولادًا يكونون لهم يومًا في اشغالهم سندًا. وفي خدمة وطنهم عونًا وعضدًا. فان جهل هؤلاء الاحداث لغة آبائهم فتّى ايّ خدمة يؤدّون. وايّ نفع يجدون

فذلك ما حمل في كلّ آن رؤساء هذه المدرسة الكلّيّة. ان يعزّزوا بين طلبتهم الدروس العربية. ويوفوها حقّها من الاعتبار والاهميّة. وكان اوّل ما استلفت ابصارهم ان يجهّزوا للتدريس الكتب المقتضاة لهذه المهمّة وهي كانت قبلهم اعزّ من الغراب الاعصم لا يقتنيها الطلبة الّا بعد الجهد الجهيد وصرف النفقات الطائلة وكان اكثرها مشحونًا بالمقاطيع البذيّة. والقصائد النزليّة. والاقاويل المخلّة بالآداب والطاعنة بالمعتقدات الدينية. فها اليوم قد توفّرت والحمد لله بهمّة رؤساء هذه الرسالة الكتب المدرسية لكلّ طبقات التدريس. فما شاعت بين الناس حتّى جنحوا اليها واقبلوا عليها وجعلها البلغاء دستورًا للتعليم في المدارس الشرقية والغربية

ومن الوسائط التي اتّخذوها لإعلاء منار العربية ما اقاموهُ في هذه المدرسة من المحافل الادبية وهي مجالس يجمعون فيها نُخبة التلامذة ليبسطوا لهم القول في مسائل ادبية ومباحث لغوية ومشاكل تاريخية. لا يمكنهم الخوض فيها في المدارس العاديّة. ثم تُعتبر على هؤلاء التلامذة ابحاث في بعض المطالب شحذًا لقرائحهم وقدحًا لزناد فكرتهم فاذا انتهوا من التصنيف جُمعت اشغالهم ونُقّحت ثمّ تُعرَض بعدئذٍ على مسامع الجمهور في جلسات تُعقَد امام اعيان البلد. وهذه عناوين بعض الموادّ التي دار عليها البحث تنبئكم على خطارتها: مفاخر بيروت. وتنصُّر النعمان. والقديس يوحنّا فم الذهب. وشهداء نجران. والآداب العربية. ونكبة البرامكة. والقديس يوحنّا الدمشقي. والمأمون وعصره. الى غير ذلك ممّا يشهد بفضل اعضاء هذه المحافل

وربّما لقّن طلبة المدارس العُليا فنّ التمثيل وحسن الأداء في مدارسهم ثمّ اذا سنحت الفرصة يدعون اعيان البلد لتشخيص روايات مفيدة يحيون بها بعض المآثر الجليلة والحوادث الخطيرة. فمن جملة ما مثّلوا الى اليوم: رواية صدقيّا. وآخر دولة المكابيين. وداود ويوناثان. واستشهاد القديس جرجس. وشهيد الوفاء. ومنها ما صنّفهُ طلبة مدرسة البيان

والخطابة كرواية ابن السموءل ورواية المهلهل

ومما توسّل به اصحاب هذه المدرسة من الوسائل لتنشيط الدروس العربية انشاء مكتبة عمومية لجميع التلامذة تجمع الى الآن نيفاً وثلاثمائة كتاب عربي يمكن الطلبة النظر فيها في ساعات العطلة وآنات الفراغ من الدروس. فسرّنا ما لقينا في الكثيرين من الاقبال على مطالعة هذه الكتب يدرسون فيها اساليب الكتابة ويوسّعون نطاق معارفهم

هذا الى وسائل أُخر عديدة يقضي عليَّ قصر الوقت بضرب الصفح عنها الّا انَّ في ما تقدَّم دليلاً بيّناً على ما يصرفهُ آباء هذه المدرسة من العناية في تدريس العربية

وفي الختام لا يبقى لي أيها السادة الكرام الّا ان اطلب من لطفكم ان تقرنوا مساعيكم بمساعينا ومجهودكم بمجهودنا تحبيبًا الى اولادكم درس لغة نجّمهم منذ صباهم وغُذوا بلبانها في عنفوان شبابهم فاضحت قسماً من وجودهم

وانتم أيها الطلبة الاعزّاء اليكم اوجه خطابي محرّضًا لكم بل سائلاً بمزيد الالحاح. ان تداوموا على درس لغتكم الشريفة لا يثني عزمكم في تعدين كنوزها عناء ولا مَلل لاسيَّما في ايام العطلة السنويَّة فانكم بدرسها تجتنون الفوائد الجمَّة وتذخرون المنافع العظمى كيف لا وفيها تجدون مهمازًا لتربيتكم ونشاطًا لعقلكم وتحسينًا لذوقكم مع ما في كثير من تآليف اربابها من لطيف المعاني ودقَّة الالفاظ وحسن سبك العبارة وقلَّة التكلُّف وكثرة التفنُّن

ثمَّ اعلموا انَّهُ دون التبحُّر في لسانكم لا يمكنكم التصدُّر في نوادي الادباء. ومجالسة من في اوطانكم من الوجوه والشرفاء. فانكم وان احكمتم اللغات الاجنبية لا تنجون من تقريع بني وطنكم لانتسابكم الى غير أنسابكم. وذهولكم عن عوائدكم وآدابكم وكفاكم بذلك خزيًا وعارًا

بل دعوني بالاحرى ان اقدّم التهاني لمن اصابوا قصبة السباق في ميدان الدروس العربية واتمنّى لجميعكم ان تتعقّبوا آثار من سبقكم من الطلبة في هذه الكلّية الذين بدرس لغتهم فتحوا لهم بابًا واسعًا وطريقًا مهيعًا ادَّى بهم الى التسوُّء من الامور الشريفة والمراتب المنيفة. فليجعلكم مثلهم على التأسي بهم لتنالوا جزاء اجتهادكم ونشاطكم. هذا ما اطلبهُ منهُ تعالى وهو سميع الدعاء. ومحقق الرجاء. امين

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وكان بعض الامراء بمصر قد رقّ خاطرهُ على المذكورين فكلّم السلطان في امرهم فلم يسمع السلطان كلامهُ وقال: هؤلاء لا أُفرج عنهم ولا أُوذيهم حتى افتح طرابلس وصيدا وبيروت . وقيل انّ الامير الذي تكلّم فيهم بدرُ الدين بيليك (١ الخزندار وكان قد صار نائبًا عن السلطان المذكور فاستمرّ المذكورون في السجن الى بعد وفاة السلطان ولم يُخرج عنهم اقطاعًا ولا ملكًا

(قلتُ) وربما كان في مدَّة سجنهم بمصر طغيان نجم الدين محمَّد بن جمال الدين حجي بن محمَّد (٢ وتسليطهُ على اولاد علم الدين معن بن معتب (٣ وعلى غيرهم وتجرُّؤهُ على قتل قُطب الدين السعديّ (٤ في كفرعميه (ان كان هو قاتلهُ) لغيبة المذكورين عنه

وسمعتُ ممن نقل الاخبار عن الاوائل أنهُ لَمَّا جرى على الغرب ما جرى لاجل قتل قطب الدين كما سنذكر ان شاء الله (٥ فيما بعد وبلغ الخبر زين الدين بن عليّ وهو بسجن مصر تأسَّف على ما جرى وقال: آه لو كنتُ حاضرًا . فقال لهُ الموكَّلون عليه: ما عساك كنت تفعل يا مولانا ؟ فردَّ عنهُ الجواب جمالُ الدين بعقلهِ وقال: لكان أصلح القضيَّة . وهذا يدلُّ على انَّ الافراج عنهم كان عقيب هذه الحركة بمدَّة قليلة . وذلك بيِّن ظاهر لمن ينظر في هذه التذكرة

---

١) هو احد ماليك الملك الظاهر اشتراهُ صغيرًا وهو امير فلمَّا تسلطن استقرَّ به الظاهر نائب السلطنة وفوَّض اليهِ جميع احوال المملكة . ثمَّ صار الامر بعد الظاهر الى ولدهِ الملك السعيد ابي المعالي بن بيبرس فاقرَّه في ولايته الَّا انهُ مات بعد قليل سنة ٦٧٦ (١٢٧٨ م)

٢) هو الولد الذي عقَّ اباهُ جمال الدين فحرمهُ الميراث (راجع ص٥٦٥)

٣) هو معن بن معتب بن ابي المكارم الذي ورد ذكرهُ في شجرة التوخيين (راجع ص ٣٧٣)   ٤) راجع ص ٥٦٤   ٥) راجع ص ٧٠٧

ونحن نذكر بيان كلّ الحركة (32^v) كما سمعنا الامر نقلاً عن القدماء. ونطابقهُ مع الاوراق الموجودة عندنا موزّخةً بذكر هذه الحركة ثم نعرض ذلك على ما ذُكر في كُتُب المؤرّخين الذين كانت ايّامهم مطابقة لأيام الحركة المذكورة. وجلّ القصد بذلك وضع الامور على المطابقة بقرائن يقبلها العقل ويصوغها الفكر وقد اجتهدتُ على صحة ذلك وما توفيقي الّا بالله

(اقول) لمّا قدّر الله بوفاة السلطان الملك الظاهر بدمشق في السابع والعشرين محرّم سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) اخفى بدر الدين بيليك موتهُ وتوجّه بالعسكر الى مصر ومعهم محفّة يظهر ان السلطان فيها ضعيف فلمّا وصل اظهر موتهُ واجلس ولدهُ الملك السعيد بركة(١ على عرش السلطنة في اوائل ربيع الاول سنة ست وسبعين وسبعمائة وجعلوا عزّ الدين أيدمر (٢ نائبًا على الشام ثمّ افرجوا عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين المذكورين

ثمّ بعد ذلك كانت وفاة بدر الدين بيليك نائب السلطنة واستقرّ عوضهُ شمس الدين الفارقاني (٣

ووقفتُ على كتاب من زين الدين بن علي الى جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين وسائر كبار الغرب كلّ واحد باسمهِ وعند البسملة الشريفة الظاهري (٤ . ملخص مضمونهُ « انّ كلّ ما جرى عليهِ هو من تزوير بني ابي الجيش. وأنّهُ لمّا أمسكوهُ طلبهما بنو ابي الجيش في العسكر فما حضرها وأنّهُ حمد الله على ذلك. وانّهُ ما اساء اليهم قطّ وانّهُ ان جرى عليهِ امرٌ فهو منهم فليأخذا بثارهِ ويكونا من الرجال. وانّهُ ان يخلص يكافئهما. وانهُ تحقق انّ الذي جرى عليهِ صادر من بني ابي الجيش. وأنّهم بعد ذلك ارسلوا كتبًا على

---

١) هو بركة خان الملك السعيد ابو المعالي ابن الملك الظاهر تولى السلطنة سنة ٦٧٦ﻫ (١٢٧٨ م) ومات بعد سنتين تقنطر بهِ الفرس في ميدان الكرك فانكسر ضلعهُ ومات من يومهِ

٢) هو ايدمر الحطيري كان احد الامراء الكبار تولى مدّةً نيابة الشام في ايّام الملك السعيد ثمّ جُعل استادار المالية في ايّام محمّد بن قلاوون. ومن آثارهِ جامع ابتناهُ في بولاق. كانت وفاتهُ نحو سنة ٧٤٠ﻫ (١٣٦٠ م)

٣) هو الامير آق سنقر الفارقاني استقرّ نائب السلطنة بعد الامير بيليك فاقام على ذلك مدّةً يسيرة ثم قبض عليهِ الملك السعيد وسجنهُ بثغر الاسكندريّة ثم ارسل بحتفهِ فخُنق سنة ٦٧٦ (١٢٧٨م)

٤) كذا في الاصل ولا نفهم ما المراد بقولهِ: « عند البسملة الشريفة الظاهريّ »

يد ابي النيث بن ابراهيم (١ من عرامون الى شهاب الدين بن نحر (٢ يقدّمها ويتحدّث عليهـا (٣ . وأنّ الكتب شكاوى عليه ويسألها امساك ابي النيث (³33) المذكور ومقابلتهُ ». وهذا يدلُّ على انهم امسكوهُ في عسكر وانَّ جمال الدين واخاهُ كانا في البلاد. وربَّما كان هذا العسكر في غير هذه البلاد فتوجَّه زين الدين اليه فمُسك فيه .

واماَّ قولهُ في الكتاب انَّهم طلبوهما في العسكر فما لحقوهما فيدلّ على انَّ زين الدين سُجن قبلهما فيكون العسكرِ تطلَّب جمال الدين وسعد الدين بعد ذلك وامسكوهما وسجنوهما بعجلون والكرك. والدليـل على ذلك انَّ سجنهما كان في ايَّام الظاهر بيبرس والكتاب المذكور كُتب في ايَّام الظاهرِ لا خلاف فيه

ورايتُ محضَرًا (٤ كُتب بعد هذه الواقعة تاريخـهُ ثامن وعشرون من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣ م) فاردتُ اثباتهُ عند ذكر ما جرى عـلى المذكورين من الكذب والزور. ومن مضمونهِ: « انَّ شهودهُ يعلمون انَّ تقيَّ الدين نجا بن ابي الجيش بن مفرج (٥ يُعرَف بالزور والافتراء والكذب فينسب زورًا للامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجّي واخيهِ لِأَبويهِ سعد الدين خضرِ المكاتبات الى الفرنج المخذولين وغيرهم. وذلك لأنَّهُ معاند لهم وساعٍ في اذيَّتهم وفيما يضرُّهم بكل طريق. وانَّ تقيَّ الدين المذكور توجَّه الى صيداء وعكة في سلخ شهر محرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة (١٢٨٣م) بكتب مزوَّرة بخطهِ عن المذكورين ولم يكن عندهم من ذلك علم ولا يعلم شهودهُ انَّ المذكورين يُنسَبون الى شيء من ذلك ». وفيهِ شهود الميادنة (٦ من بلد صيداء ولهم شهود بالتركيَّة

---

١) لا نعرف لهُ خبرًا ٢) كذا في الاصل بلا ضبط

٣) لعلَّهُ يريد بقولهِ « يقدّمها ويتحدَّث عليها » انهُ حصل على نسخ من هذه الكتب فيقدمها زينُ الدين الى جمال الدين واخيهِ ويتحدَّث عنها في كتابهِ لهما

٤) المَحْضَر كالسجل والصكّ

٥) جاء في حاشية من اصل الكتاب ما حرفهُ: « ومفرج جدّ تقيّ الدين نجا كان افضل من ذرّيتهِ معتبرًا بين الناس. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مشترًى باسم نجم الدين محمَّد بن حجّي بن كرامة وهو بخطّ مفرج هذا وهو مفرج بن ابي الجيش بن مفرج وهو خطّ مليح يدلّ على ذكاء كاتبه. وتاريخهُ شهر ربيع الأوَّل من سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وجرت العادة ان يُعتبَر الذي يكتب كرجل فاضل وبليغ عارف بامر الكتابة »

٦) لعلَّهُ يريد قومًا من الصيداويين يسكنون الميدان وهي قرية من اقليم جزّين

من قوم تحت شهاداتهم (٣٣) بخط قاضٍ. وهذا المحضر كُتب في أيام المنصور قلاوون فقدمتُ ذكرهُ ليكون رِتقاء الكتاب المذكور ليعلم الواقف على هذه التذكرة عداوة بني ابي الجيش لهذا البيت. وكان يجب تأخيرهُ الى ايام المنصور قلاوون لأنهُ كُتب عن حادثةٍ وقعت في ايام غير الحادثة التي ذُكرت في أيام الملك الظاهر بيبرس

[ووقعتُ على محضَر ثانٍ كُتب لزين الدين بن علي ولولدَيهِ علي وبحتر وجمال الدين حجي ولولدهِ محمّد ولاخيهِ سعد الدين خضر. ومن مضمونهِ: انهم مناصحون الدولة المنصورية مجتهدون في قمع المفسدين واخماد الفتن وانَّهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ جميع ما نُسبوا اليهِ من الاجتماع بالفرنج عند نزول العساكر المنصورة بساحل مدينة صيداء (بسم الله فتحها في شهور سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨ م) كان تشنيعاً من اعدائهم ومبغضيهم ليس لهُ اصل ولا حقيقة. والتاريخ في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة. وهذا في أيام الملك المنصور قلاوون ايضاً. فيكون من ثمَّ قد وهم بالغيب من زعم انَّ الثلاثة المذكورين سُجنوا مرَّتين وان النسخة الثانية في ايام قلاوون وأفرج عنهم بيدرا. والله اعلم(١]

ولنرجع الآن الى ترتيب الحوادث في اوقاتها تتلو بعضها بعض على دول الملوك وأيامهم. ومن الحوادث في ايام زين الدين وجمال الدين وسعد الدين انَّهُ حضر الى الغرب في نهار الخميس في العشر الآخر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) عساكر وعشران من ولاية بعلبكّ والبقاعين وصيداء وبيروت لقضيّة قتل قطب الدين السعدي. وهذا كان قد استقطع كفرعميه من امراء الغرب فقُتل فيها وذكروا انَّ الذي قتلهُ هو نجم الدين محمد العاقّ لابيهِ جمال الدين وقد تقدَّم ذكرهُ وطَرْدُ ابيهِ لهُ (٢. فاقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة ايام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكان نجم الدين محمد المذكور وشرف الدين علي بن زين الدين بن علي قد هربا مع رفقةٍ لهما الى شقيف كفرغوص (٣ فتحصَّنوا بهِ. فحضر اليهم بعض العساكر فانزلوهم واعتقلوهم وساروا بهم وهم يتبعون المنهزمين من الغرب حتى وصلوا الى كفرفاقود فافرجوا عن

---

١) ما وضعناهُ هنا بين معكفين [ ] قد ورد في ذيل الكتاب الّا انَّهُ من الاصل زادهُ المؤلف ونبَّهَ عليهِ

٢) راجع ص ٥٦٤ و ٥٦٥ ٣) نظنها من اقليم الشحّار

المذكورين في كفر فاقود . وذكروا ان الشيخ العلم (34) لما وصل الهاربون من الغرب الى كفر فاقود جهّز المنزى لتدوس الطريق وتخفي آثار الهاربين على من يتبعهم من العسكر . ولم نسمع انه جرى على الغرب اكثر من هذه الحادثة . ثم صار الامر الى يدي الملك السعيد بركة بن الظاهر ونائبه بالشام عز الدين ايدمر (ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

ولم يكن هذا الافتراض بانّ الراهبة اغنس هي ابنتها وردة امرًا مُحالًا لانّ صوتها ووجهها لم يكونا بالشيء غير المعروف لديها بل كانت كلما نظرت اليها او سمعت صوتها تشعر باضطراب داخلي لم تكن لتدرك سببه بل كانت منذ نظرت الى الراهبة المرّة الاولى أحسَّت بانعطاف شديد ومحبّة عظيمة لها . . . وكانت تقول في نفسها انّ للقلب ادلّة وحُججًا لا يفقهها العقل احيانًا فعلامَ لا نتبع الهامات القلب . . . . ثم كانت تعود الى رشدها فتقول كلّا انّ هذه اوهام بل اضغاث احلام فانّ وردة قد ماتت دون اشكال وعلى فرض انها ما برحت حيّة فانّها تكون أصغر سنًّا من الراهبة أغنس بزهاء عشر سنين على الاقلّ »

وبينا كانت متردّدة في الامر على ما مرّ بك الكلام تصدّق مرّة انّ الراهبة اغنس هي بنتها وردة وتنكر مرّة الامر على نفسها عزمت ان تستجلي الغامض وتستطلع الحقيقة باسرع ما يمكن لها . وهي لهذه الغاية باحت لقرينها بما كان يخامرها من الظنون فعزم الزوجان ان يكاشفا الراهبة بما يتردّد على بالهما رجاء ان يحملاها على الاباحة بسرها وانهما اذا لزم الامر يكاشفان الرئيسة ويستطلعانها طلع الراهبة وبالجملة انّ الزوجين تواعدا ان يتّخذا جميع الوسائل لازالة الخفاء وكشف الغطاء .

على انّ عربة البارون تأخرت ذلك المساء عن الاياب في الوقت المعيّن خلافًا للمادة وكانت الحالة الجويّة قد تغيّرت في ذلك المساء بغتة كما يحدث غالبًا في مثل هذا

الفصل من السنة فتلبدت الغيوم في كبد السماء وانهمل الغيث مدراراً يندفع على زجاج النوافذ وكانت الرياح السوافي تهب من وقت الى آخر وتسمع انيناً مزعجاً اشبه بالنعيق وبالجملة كانت مظاهر الطبيعة تنبّه في النفس عواطف الحزن والشجن

وكان المسيو ب . وزوجته قلقين بما لا مزيد عليه بل استولى عليهما الرعب والخوف بشدة شديدة من جراء تأخر الجماعة عن القدوم . وبينا كانا على تلك الحال سمعا وقع حوافر الخيل ثم اقبلت عربة ووقفت لدى باب البيت فنزلت منها سوسنة وشرل وحدهما متخاصرين اما الراهبة فلم تكن معهما . بل اخبرت سوسنة ان الراهبة اغتس احسّت بضعف على بغتة بينا كانوا قادمين من النزهة ولحسن الطالع لم يكن الدير بعيداً فنقلوها اليه حالاً ثم استدعي الطبيب بسرعة كلية وبعد ان فحص امرها بتدقيق صرّح بان حالها تنذر بالخطر نظراً الى ما كانت عليه المريضة من الضعف الشديد والهزال

١٣

نحن الآن (والساعة التاسعة من الليـل) في حجرة حقيرة من حجر دير الراهبات خادمات المرضى في مدينة ڤينّة . وفي تلك الحجرة راهبة تصارع الموت ويصارعها وتنازله وينازلها . وحول مرقد هذه الراهبة التي صارت على مقربة من هوّة الابدية جمة من الراهبات الزاهدات راكعات يصلين سراً . . . . وكان الكاهن الذي أودعته تلك الراهبة المنازعة آخر ما في نفسها من الاسرار يعظها في ساعتها الاخيرة المهيبة قائلاً :

« تشجعي ايتها الاخت العزيزة فانّ الاكليل المعدّ للنفوس الكريمة انما ينتظرك فوق في السماء . . . ان الله قد قبل الضحية التي قدمتها له ببرؤة وشهامة وشجاعة وسيقبل ايضاً صلواتك وتتقدمة حياتك فدى الاشخاص الاعزاء لديك »

وعندئذ ظهر على وجه الراهبة سيماء الموت القريب بصورة ادركها الحاضرون فسجد الكاهن على ركبتيه ليصلي الصلوة التي بها يُستودَع الله نفس المحتضرة فقال وقد خشعت نفوس الحضور :

« اخرجي من هذا العالم ايتها النفس المسيحية باسم الآب القدير على كل شيء الذي خلقك وباسم يسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي تألّم من اجلك وباسم الروح القدس الذي حلّ فيك وباسم الملائكة ورؤساء الملائكة وباسم الآباء والانبياء وباسم الرسل

والانجيليين . . . . وباسم القديسات العذارى وسائر اولياء الله وقديساته . ولكن اليوم مقرّك في السلام ومسكنك في صهيون المقدّسة

«استودعك الله القدير على كلّ شيء ايتها الاخت العزيزة واسلمك الى من انتِ خليقتهُ حتى اذا ما وفيتِ بالموت دَين البشريَّة تعودين الى مبدعكِ الذي انشأكِ من تراب الارض . ولتلقَ نفسك الخارجة من الجسد مواكبَ الملائكة النيّرين ومحافل الشهداء المنتصرين وصفوف العذارى المجيدات ولتقبل قبةَ السلام قبةَ الراحة الدائمة في احضان الاباء . ولتظهر لك صورة يسوع المسيح منشأ الحلاوة ومغرس الرجاء . وليتهزم من امامكِ ابليس الرجيم واعوانهُ حتى اذا ما رأوكِ في صحبة الملائكة ترتعد فرائصهم ويرتدّوا مدبرين منحدرين الى دركات الجحيم حيث الظلمات الدائمة . . .»

وعندما امسك الكاهن عن الكلام ثم نهض ومنح المحتضرة البركة الاخيرة وانطلق من الغرفة حاملاً بيدهِ الزيت المقدّس

ولم يعد يُسمع في الغرفة الّا لهجة الراهبات الراكعات يصلّينَ بصوتٍ منخفض ثم تنفس بل حشرجة الراهبة المحتضرة . . . على انّ هذه الراهبة نهضت بصعوبة كلية بغتةً وابدت حركةً اشارت بها الى انّها تريد ان تتكلم . فالحال وقفت الرئيسة عند رأس الراهبة اغنس ودفنت حزنها في اعماق صدرها محاولةً بذلك ان تنتزع من مخالب الموت تلك النفس الكريمة المعززة بالشجاعة والشهامة . تلك النفس التي أُعجبت منذ زهاء سنة بفضيلتها السامية القائمة على اقوى الدعائم فانحنت الى المحتضرة منعطفة وأصغت اليها . . . فاخذت اغنس تودع في اذن الرئيسة كلاماً سرّيًا ويظهر ان ذلك الكلام كان ذا تاثير في نفس الرئيسة حتى انّها رفعت جبهة ورأسها منديلها الى عينيها ومسحت الدموع المنهملة كالغيث المدرار وفي آخر الامر التفتت الرئيسة الى المحتضرة وقالت لها ما يأتي من الكلام :

«كوني باطمئنان وسلام ايتها الاخت العزيزة فانني سأتمم مقتضى ارادتكِ بمنتهى التدقيق . ايتها الفتاة عنوان الشجاعة والشهامة ليتني اتمكَّن من ان افديكِ بحيوتي . . . .»

فعند ما حقّقت الرئيسة للراهبة اغنس انها تقوم بما اسرَّتهُ اليها ابتسمت اشارةً الى الشكر والاحساس بالجميل ثم القت رأسها الى المخدَّة التماس الراحة . فرآها الحضور تحرّك شفتيها وترفع عينيها الى السماء بحميّة ففهموا انّ صلوةً حارَّةً كانت تصعد الى العلاء من تلك النفس الكريمة مغرس الطهارة والطهارة

وعند ذلك أُتيَ بناءً على امر الرئيسة بمنضدة (طاولة) فجعلت على مقربة من سرير المحتضرة وكان على تلك المنضدة جملة اشياء موضوعة بدون انتظام وهي اسفاط وسبحتان وكتاب الاقتداء بالمسيح وكتاب قوانين الرهبانية ومكاتيب وبعض رسوم شمسية (صور فوتغرافية) قليلة العدد وصليب صغير وسوار من ذهب

فشرعت الراهبة اغنس تتأمل هذه الاشياء بابتسام. وكان بعض التصورات القديمة تتمثَّل لدى عينيها التي كاد ظلام الموت يحجب ضياءها

اجل ان تلك الاشياء كانت كانها ألسنة ناطقة تخبرها بحوادث حياتها المنقضية وتنبه في ذهنها التذكّرات المتعلقة بتلك الحوادث.. بل كأنَّ كلّ قطعة منها لدى تقليبها اياها بين اصابعها العجيفة التي استطرقت اليها برودة الموت تقول لها: أتذكرين هذا الامر... وكيف لا تتذكَّر جميع هـذه الامور وهي من اجل ذلك تتبسَّم بلطافة لدى تفكرها بالحوادث الماضية ولدى تذكرها بموتها القريب... لا ريب ان صورة الوطن كانت في تلك الساعة تترآى لها ولا إشكال إن رسم العائلة كان تمثَّل لدى نظرها... وهي لذلك قد تأثرت في تلك الساعة فاندفع شيء من دم قلبها الضئيل فصعد الى خديها وصبغهما بحمرة عقبت اثر الاصفرار ثم انهملت من عينيها دمعتان كالدرتين فوق تينك الوجنتين البهيتين. وبعد ان تأملت تلك الاشياء العزيزة لديها شكرت للرئيسة شكرًا اخيرًا شكر الوداع قائلةً لها بصوتٍ منخفض:

اسألكِ ان تصلي من اجلي قليلًا

اجابت الرئيسة: بل كثيرًا جدًا

فقالت الراهبة المحتضرة:

أجل أجل صلي من اجلي كثيرًا والآن اني مشعرة بان كلّ شيء قد انقضى.. لقد انقضى كل شيء... اني اشكرك يارب شكرًا حميًا... ثم التفت الى الرئيسة قائلةً: اماهُ هل تأملتِ مرّةً ما تلك الجملة التي قالها بولس الرسول وهي «اني تائق الى الموت»... فانا... انا هائمة الآن بالموت... ولكن ربما كان اثمًا عليَّ ان اتمنَّى الوفاة... قالت ثم القت رأسها الى الوسادة. ثم اخذت تتكلم برهةً بصوتٍ عالٍ قائلةً:

لقد احتملتُ من اجلهِ الآلام... وانا اقدّم حياتي من اجلهِ... فاقبل يا الهي ضحيتي... السماح... السماح يا ابوي المحبوبين... السماح يا شقيقتي الحبيبة.. اه

انتِ هنا..انتِ على مقربةٍ مني...وانتم ههنا ايضاً يا ملائكة النزاع السريين....
ارحمني يا الهي...ارحمني

ولما كانت اصابعها تنقبض بحركة عصبية على غطاء الفراش اقتربت الرئيسة منها واخذت يدها بلطفٍ وعندئذٍ فتحت الراهبة عينيها ولم تعد تتلفظ ببنت شفة .بل شخص بصرها الى العلاء. وكانت كانها تسمع اصواتاً حلوة تقول لها

تعالي أيتها الاخت الحبيبة...تعالي...فان المسيح يستدعيكِ الى سمائهِ ان آلامك قد انتهت واوجاعكِ قد انقضت. وانَّ اجنحتها ترف حواليكِ وتنبسط لتحملكِ الى اقصى مكان...الى اعلى السماوات

وعندئذٍ نهض جسد الراهبة المحتضرة بارتعاج كأنهُ يريد ان يتبع اشخاصاً غير منظورين

ثم تنهدت تنهدًا خفيفاً هيهات ان يدرك فخرجت من صدرها نسمة لطيفة هيهات ان يُشعر بها

وفي تلك الدقيقة انقطعت آلامها وانتهت اوجاعها بالموت... (ستاتي البقية)

شَذَرَاتٌ

– الشبيهتان –

سرّح طرفك يا ايها القارى الاديب في هاتين الصورتين ودقّق النظر فيهما ملياً

— ها قد فعلتُ

— فماذا ترى ؟

— ارى صورتين متشابهتين من حيث الشكل مختلفتين من حيث الكِبَر

— بخ. بخ. وانت ايضاً في ضلال عظيم كسائر الذين رموا بالنظر اليهما

— كيف تقول هذا فان الاعمى نفسه يحسّ ان الصورة الثانية اكبر من الاولى ؟

— كلاَّ ثمَّ كلاَّ واكرّر لك القول انك في ضلال مبين

— ولكن.....

— ان كنتَ لا تثق بقولي فقِس الصورتين

— سمعًا وطاعة . . . . . يا عجب العُجاب . . . . . فانهما متساويتان . . . . .

— أقتنعتَ الآن ؟

— نعم

— أتيقنتَ انك كنتَ في ضلال ؟ . .

— نعم . . . . نعم . . . . ولكن كيف يمكن مثل هذا الاغترار المدهش وقد رزقنا الله قوى سليمة لادراك المحسوسات

— هذا يا صاح مما يُدعى عند الطبيعيين غرور العين (illusion d'optique) ومن امثالهِ ما لا يحصى عددهُ ولا يُؤتى بعللهِ في اكثر الاحيان . فالله اعلم باسرار الطبيعة . والسلام

عساكر المسكونة برًّا وبحرًا

قد ورد في مجلة (Scientific American) جدول لبيان قوات الدول العسكرية في اوربة هذا تفصيلهُ :

اسماء البلدان	عدد الجنود في زمن الحرب	في زمن السلم
دنمرك	٥٦٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠
سرية	٢١٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
هولندة	—	٢٢,٠٠٠
برتغال	—	٣٦,٠٠٠
رومانية	١٦٠,٠٠٠	٤٧,٠٠٠
بلجكة	١٦٧,٠٠٠	٥٢,٠٠٠
اسوج	٤٣٠,٠٠٠	٥٧,٠٠٠
اسبانية	١٦٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
سويسرة	—	١٢٥,٠٠٠
تركية	٧٠٠,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠
انكلترة	٦٦٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
ايطالية	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠
النمسة	٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٦٠,٠٠٠
فرنسة	٤,٣٨٠,٠٠٠	٥٧٠,٠٠٠
المانية	٤,٥٠٠,٠٠٠	٥٨٠,٠٠٠
روسية	٥,٠٠٠,٠٠٠	٨٩٦,٠٠٠

وهذه العساكر الاروبية تستخدم ٥٥٠,٠٠٠ من الخيل وقت الصلح

اما بلاد اسية فجملة العساكر الموجودة فيها هي ٨٠٠,٠٠٠ نفر منها ٢٧٠,٠٠٠ للصين و ٢٠٠,٠٠٠ للهند و ١٠٠,٠٠٠ لليابان و ٢٥,٠٠٠ لفارس

وعدد الجنود الاميركيين لا يجاوز وقت السلم جملة ١٦٠,٠٠٠ رجل واعظم عساكر هذه الاقطار عسكر المكسيك (٤٠,٠٠٠) والولايات المتحدة (٣٠,٠٠٠)

وجملة الجنود الموجودين تحت الاسلحة في العالم كله يبلغ (زمن الصلح) ٤,٦٠٠,٠٠٠ نفر وعدد الخيول العسكرية على وجه المسكونة نحو ٧٠٠,٠٠٠

وقد حسبوا النفقات اللازمة لمعاش تلك القوّات كلها فوجدوا ان مبلغها يفوق ٢٥ مليارًا في السنة. فتأمّل

— وسيلة جديدة لمعالجة الهُدَام —

اخبر الدكتور دَوْلِنس الانكليزي انهُ اخترع طريقة حسنة لمنع الهُدَام (mal de mer) وقد اثبت الاختبار الصادق حقيقة الامر. فلمَّا كان ذلك الداء العرضي يصيب خلقًا كثيرًا من المسافرين ويذيقهم مرَّ الوجع في بعض الاوقات احببنا ان نورد لقرّائنا الكرام هذا الدواء الجديد فنقول:

ان معالجة الهدام على غاية السهولة فلا تقتضي شرب دواء من الادوية ولا ابتلاع حبّ من الحبوب. وجلُّ ما يُطلب من المصاب ان يرفع ذراعيهِ ورجليهِ معًا على قدر الامكان فيبقى على هذه الحال الى ان يشعر بانحطاط مَعِدتهِ. ثمَّ ان يعاود ذلك مرَّات متوالية الى زوال كل تحرُّك الى القيء. وممَّا يزيد هذه المعالجة نفعًا وضع مغلاة او قطعةً من الفلانلة المسخّنة على الصدر. فاختبر وأخبر

لغز رياضيّ

مرَّ رجل شريف بعض الفقراء. فطلب منهُ المسكين صدقةً فتقدَّم الى ابنهِ ان يعطيهُ ستة فرنكات فرضي الولد بشرط ان يضاعف لهُ ابوهُ الدراهم التي في كيسهِ. ثم تقدَّما قليلًا واذا بفقير آخر يستعطي فامر الاب ابنهُ ثانيةً ان يعطيهُ ستة فرنكات أُخرى فلم يرضَ الولد الَّا بعد ان ضاعف لهُ ابوهُ ما فضل في كيسهِ من الدراهم. وكذلك فعل بفقير ثالث امدَّهُ الولد بستة فرنكات بعد مضاعفة الدراهم الباقية في كيسهِ. فرجع الولد

الى البيت وكيسهُ صفرٌ من الدراهم. فيُطلب ماذا كان يوجد في كيسهِ من الدراهم لمّا صادف الفقيرَ الاوَّل

حلّ هذا اللغز في العدد القادم

كتب شرقية جديدة

STUDIA THEOLOGICA AUCTORE H. GOUSSEN

Fasciculus I, Lipsiæ, pp. 70

Apocalypsis S. Johannis Apostoli, Versio Sahidica

نسخة جديدة من رؤيا ماريوحنّا باللغة القبطيَّة

لا يخفى انّ الاسفار المقدَّسة نُقلت في اوائل النصرانية من اللغة اليونانية عن الترجمة السبعينيَّة الى عدَّة لغات. ولمّا كانت البلاد المصريَّة سبقت غيرها الى التنصُّر لا شكَّ ايضاً انّ الاقباط اسرعوا الى نقل الكتاب الكريم الى امّتهم. بيدَ انّ اللسان القبطيّ على ثلاث لهجات اللهجة المَنفيَّة او البحيريَّة كانت شائعة في مصر السُفلى واللهجة الصعيديَّة او الثيبية انتشرت في مصر العليا اي الصعيد واللهجة البشموريَّة كان يتكلّم بها بعض العامَّة في واحات مصر. وقد تُرجم الكتاب المقدَّس الى هذه اللهجات او اللغات الثلاث. واشهرها الترجمة المَنفيَّة ثمّ الصعيديَّة يرتقي عهدها الى اوائل القرن الثالث او اواخر الثاني للمسيح يُستدلّ على ذلك من شواهد عديدة. وهاتان الترجمتان مستقلَّتان لم يُطبع منهما الّا شيء قليل وما نُشر بالطبع أُخذ اكثرهُ عن نسخ لا يتجاوز عهدها القرن العاشر. وقد ساعد الحظّ بعض اصحاب الآثار ان يجد منها قطعاً مهمَّة منذ عشر سنين حصلت عليها دولة المانية ودولة انكلترة. فبادر الدكتور ه. غوسّن احد معلّمي كليّة ستراسبرغ الى استنساخ كتاب رؤيا يوحنّا باللغة الصعيديَّة فنشرهُ بالطبع الحجريّ وضبطهُ على نسختين كُتبتا على رقّ الغزال. فلا مراء انّ الشرقيين لا سيَّما الاقباط يتلقَّون هذا الخبر بمزيد المسرَّة ويثنون على همَّة الدكتور المذكور. وقد ذيّل هذا الكتاب ببعض مقاطيع صغيرة في السريانية وجدت في كتب قديمة وهي مأخوذة عن كتاب الدياطسّارون وسنعود الى ذكرها ان شاء الله

MARTYRIUS-SAHDONA'S LEBEN U. WERKE,

von Dr H. Goussen, Leipzig, 1897, SS. XX-34.

ترجمة سُهدون واعمالهُ

كان سهدون هذا من مشاهير كتبة السريان درس العلوم في مدرسة نصيبين

في اواخر القرن السادس ثم ترهَّب في بعض اديرة النساطرة ولم يلبث ان اشتهر بفضلهِ فاقامهُ اهل شيعتهِ اسقفاً لمدينة باجرمي في نواحي الموصل واكرمهُ سيرويهِ ملك العجم فارسلهُ مع يشوعياب الجذلي سفيرًا الى هرقل الملك فالتقى مدَّة سفرهِ بعدَّة اساقفة كاثوليكيين باحثوهُ في امر شيعتهِ واجتذبوهُ الى الرأي المستقيم. ولسهدون هذا تآليف دينيّة وخطب وجد منها الدكتور غوسن المذكور آنفاً قسماً فنشرهُ بالطبع وترجمهُ الى الالمانية وعلّق عليهِ حواشي وصدّر الكتاب بتعريف سهدون المذكور واثبات رجوعهِ الى الكثلكة وكان بعض العلماء المستشرقين كرّيت وبدج أنكروا ذلك على السمعاني (راجع المكتبة الشرقية الجزء الثالث ص ٤٥٣) وزعموا انهُ تشيّع للبدعة اليعقوبية ولم يَدِن بالكثلكة فبيَّن الدكتور غوسن ان اكتشاف نسختهِ الجديدة لم تترك للامر ريباً ل. ش

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES

publiés en Europe de 1810 à 1885

par V. Chauvin, 3e partie, Liège, 1898, *pp.* 152

قائمة الكتب العربية او المتوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥

قد وصفنا في العدد الثاني من مجلّتنا (ص ٩٣) القسم الثاني من هذا الكتاب المفيد. فما لبث مؤلفهُ جازاهُ الله ان يتحفنا بالقسم الثالث وهو جزءان يشتمل الاوّل على امثال لقمان وما دخل في حلّها والثاني على قصّة عنترة وما شاكلها. وقد صدّر في الجزء الاوّل ابحاثهُ (ص ١–٢٥) بذكر كلّ المطبوعات التي نُشرت بخصوص امثال لقمان الحكيم وترجمها الى لغاتٍ شتّى. ثم فصّل (ص ٢٦–٣٨) اسماء المصادر التي أُخذ عنها كلّ مَثَل من امثال لقمان السابق ذكرها. وهو شغل دقيق بيّن اصل هذه الامثال وما طرأ عليها من التقلّبات وكيف اعتنى بها الكتبة فنقلوها الى اللغات المختلفة وهذا الباب جليل المنفعة لا غنى عنهُ لمن اراد البحث في تاريخ امثال لقمان الشهير

ثم انتقل المؤلف العلاّمة الى ذكر الامثال الواردة في قصّة حيقار الحكيم (٣٨–٤٢) التي سعى حضرة الاب صالحاني بطبعها طبعةً مضبوطة. ثمَّ ذكر ما عُرّب من امثال ايزوب اليوناني (٤٢–٨٣). ثم عقّب ذلك ببيان اسماء الكتب التي مدارها على قصّة

بَرلعام ويوشافط مع ما جاء فيها من الامثال الحكميَّة (٨٣–١١٢). وفي هذا الفصل عدَّة افادات عن هذا الكتاب الذي طالما نسبهُ الكتَبَة الى القديس يوحنَّا الدمشقي وهو في الحقيقة اقدم منهُ عهدًا واصلهُ من الهند

امَّا الجزء الثاني (١١٣–١٤٠) فمضمونهُ اوَّلًا حكاية عنترة بن شدَّاد وتعداد طبعاتها المختلفة. ثم يليها ذكر الحكايات المجانسة لها الشائعة عند العرب كقصة ابي مُسلم وابي زيد والعجيب الغريب وفيروز شاه وسيف التيجان وسيف بن ذي يزن والزير وبني هلال الخ. وختم ذلك بقائمة الكتب التي ورد فيها ذكر مسألتين خطيرتين (ص ١٤٠–١٤٣) تضاربت فيها الآراء اعني اصل جماعات الفرسان وما لكتب العرب من الحصَّة والتأثير في الحكايات التي شاعت في اوربة في القرون المتوسطة

فمن تعداد هذه الفصول يتسنَّى لقرَّائنا ان يفهموا عظم شأن هذا القسم الثالث وما اقتضى جمعهُ من الشغل الشاغل. فنكرّر شكرنا للعلاَّمة شوڤين الذي يسهّل لنا بواسطة تآليفهِ الاطّلاع على كلّ ما نُشر بالطبع في سائر انحاء اوربة من كلّ فنون العرب ويقرّب لغيرهِ من العلماء [illegible] تاريخ واسع للآداب العربية ه. ل

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي من بغداد: ١ً ان نفيدهُ عن اسماء السُّفُن المتَّخذة في العراق المذكورة في المسعودي ٢ً ان نذكر لهُ ما يوجد من الصحَّة في ما كتبهُ العرب عن سدّ الاسكندر ذي القرنين في بلاد جوج وماجوج

١ سفن العراق القديمة

ج نجيب على الاول ان المسعودي ذكر هذه السفن في اثناء اخبارهِ عن الخليفة المتَّقي لله بكتابهِ الموسوم بمروج الذهب (٨: ٣٤٥). قال: «واشتدَّ امر البريديين بالبصرة ومنعوا السُّفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيش في الماء في الشذوات والطيَّارات والسميريَّات والزبازب. وهذه انواع من المراكب يقاتل فيها صغارٌ وكبار». وفي الطبعة المصريَّة (٢: ٣٧٦): قد رُوي «السماريات والدبارب». وورد في نسخ اخرى خطيَّة: «السمارايات والدبارب». ولعلَّ الصواب هي الرواية الاولى فانَّ السميريات قد

ذُكرت في تاريخ الكامل لابن الاثير. امّا الزبازب فجاء شرحُها في القاموس التركي بأنها سفن مستطيلة متّسعة الجوانب

٣ سد جوج وماجوج

نجيب على الثاني انّ كتبة العرب متّفقون باجمعهم على ذكر هذا السدّ وذلك انهم يزعمون انّ الاسكندر لمّا وصل في غزواتهِ الى بلاد جوج وماجوج من الاقليم الخامس اتاهُ قوم من صعاليك تلك البلاد المتاخمة لهؤلاء الشعوب الهمجية فرقّ لهم وابتنى لهم سدًّا ضخمًا لم يمكنهم تعدّيه. وقد بحث قومٌ من العلماء عن صحّة هذه الرواية فتضاربت الآراء في اقوالهم فمنهم من قال انّ هذا السدّ من بعض بنايات الاسكندر المجهولة. ومنهم من ارتأى انّ موقعهُ في جبال القوقاز. ومنهم من قال انّ هذا السدّ هو الحائط المقام في بلاد الصين ولعلّ هذا الرأي هو الارجح (راجع ايضًا تاريخ الدول لابن العبري ص ٩٧ ومقدّمة المعلّم رينو على جغرافية ابي الفداء ٣١٤ وللدكتور دي كُويه (de Goeje) مقالة طويلة في ذلك ليست هي في يدنا)

س كتب لنا من المنيا الخواجا واصف قركار ما حرفهُ: ١ً حدّثني احد اصدقائي أنهُ حاول تغيير لون الورد الطبيعي الاحمر بلون آخر بنفسجي وذلك انهُ وضع وقت زرع الورد الاحمر في الارض قطعة تَنَكة بنفسجي. فان صدقت هذه الرواية نرجوكم ان تفيدونا كيف يكون ذلك ٢ً ألا يمكن تقدير كم سنة للدنيا من الخليقة الى الآن على وجه التقريب

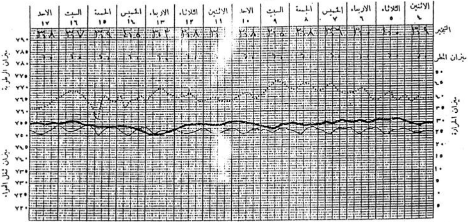
تغيير لون الورد

ج نجيب على الاوّل انّ الطريقة الموصوفة آنفًا ليس فيها شيء من الصحّة فان التنكة لا تؤثّر في شجرة الورد. وقد يمكن تغيير الوان بعض الزهور اذا سُقيت بموادّ كيماوية كسلفات الحديد مثلًا الّا انّ هذا لا يصلح في الورد

عمر العالم

نجيب على الثاني ان قياس عمر العالم منذ الخليقة الى اليوم لا يمكن ضبطهُ وقد حاول بعض العلماء ان يستنتجوا عمر العالم من تركيب طبقات الارض فبلغ حسابهم الى الوف بل الى الوف الوف من السنين وليس في هذه الاقاويل ما يتسنّى تحقيقهُ ل. ش

قائمة للآثار الجوية   من ٦ الى ١٧ تموز   ١٨٩٨



انَّ الخطَّ الضخم (—) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروميتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقَّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمليمترات وعُشر المليمترات